جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع والديمغرافيا

شعبة الفلسفة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في الفلسفة

تخصص: فلسفة عامة

إعداد الطالبتين:

*-رفيدة بن مبارك

*-بثينة بودشيشة

العنوان:

الحرب والتربية في فكر جان جاك روسو

نوقشت علنًا يوم: 2019/06/26

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الصفة
01	د/ شهيدة لعموري، أستاذة محاضرة –ب- جامعة ورقلة	رئيسًا
02	د/ رياض طاهير، أستاذ محاضر –ب- جامعة ورقلة	مشرفًا
03	د/ محمد الصديق بن غزالة أستاذ محاضر –ب- جامعة ورقلة	مناقشًا

الموسم الجامعي: 2019/2018

الشكر والعرفان

للنّجاح أناس يُقدّرون معناه وللإبداع أُناس يحصدونه، لذا نقدر جهودك المُضنية

فأنت أهلُ للشّكر والتقدير ووجب علينا تقديرك، ولك منّا كل الثّناء والتقدير

دكتورنا ومشرفنا في هذا العمل المتواضع

***** الدكتور: رياض طاهير *****

شكرا على كل شيء

**** رفيدة بن مبارك* و*بوثينة بودشيشية****

الإهداء

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات بعد مسيرة دراسية حملت في طياتها العديد من الحكايات .

إنتهت الحكاية رفعت قبعتي مودعتاً للسنين التي مضت

أهدي تخرجي إلى بحر الحب والحنان والنبض الساكن في عروقي أمي الحنونة *سعيدة طراد* .

إلى الحبيب الطيب من كل عطر أطيب إلى أبي الغالي الحنون فخري و روح قلبي *جموعي (بشير) بن مبارك* .

إلى الحنونة التي طالما حلمت لتفرح معي بهذا اليوم إلا أنها لم تستطيع تحقيق هذا الحلم فكان حكم الله هو الأقوى إلى روح جدتي المرحومة *مخلوفة رمون * رحمها الله .

إلى أحبتي الأعزاء على قلبي إخوتي *هناء* ضياء الدين *أماني*وإلى من أعتبرهم إخوتي في الله وفي الحياة *رانيا*و*م إلياس*و*عادل* .

إلى كل أهلي و أحبتي وأقربائي من أخوال و أعمام وأولاد أخوال و أولاد أعمام كل بإسمه .

إلى صديقاتي ورفيقات دربي *يمينة*سعاد*جهيدة*راويا*كوثر*حنان* و صديقتي في هذا البحث وزميلتي *بوثينة بودشيشة* .

إلى أستاذي الفاضل *رياض طهير* الذي لم يبخلن علينا ولو بذرة من المجهودات التي بدلها معنا في هذا البحث إلى أساتذتي الكرام و الأسرة الجامعية ككل.

أهدي هذا البحث المتواضع راجيتا من المولى عز وجل أن يجد القبول والنجاح.

رفيدة بن مبارك

الإهداء

الحمد لله الذي هداني ووفقني لإنجاز هذا العمل المتواضع و أنا بدوري أهدي ثمرة هذاالجهد إلى ينبوع العطاء الذي زرع في نفسي الطموح والمثابرة والدي العزيز

علي بودشيشة

إلى نبع الحنان الذي لا ينضب أمي الغالية *خولة بن عيشوش*

إلى من مد اليدين و أنار ليا العينين وأجدكما لي والدين *حمايا* و*حماتي*

إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي وشبابي أخوتي
سارة*و*محمدالطاهر*و*هيثم*و*ريتاج

إلى سندي في هذه الحياة زوجي الغالي **محمد الأمين رغدة**

إلى من تحملت معي المشاق صديقة وزميلتي في هذا العمل *رفيدة بن مبارك*

إلى رفيقات دربي و طفولتي صديقاتي اللواتي وقفن معي في كل مسار حياتي
*زينب*شهرة*مريم*سندس* .

إلى الأستاذ الذي أجيد له بالشكر **رياض طاهير** الذي وقف معنا في كل كبيرة وصغيرة وكان مرشدا لنا في عملنا هذا وإلى كل أساتذة قسم الفلسفة أشكركم.

بوثينة بودشيشة

فهرس الموضوعات

الفهرس	الصفحة
مقدمة	**ب،هـ**
الفصل الأول : الأطر العامة السائدة في عصر روسو	
المبحث الأول : الإطار السياسي السائد في عصر روسو	**07- 12**
المبحث الثاني : الإطار الاجتماعي السائد في عصر روسو	**13- 17**
المبحث الثالث : موقف روسو من الأطر السائدة في عصره	**18- 21**
الفصل الثاني :الحرب في فكر روسو السياسي	
المبحث الأول : تصور روسو لنشأة المجتمعات السياسية	**23- 30**
المبحث الثاني : آليات الانتقال من السلم إلى الحرب	**31- 34**
المبحث الثالث : الصراع السياسي في فكر روسو	**35- 38**
الفصل الثالث :التربية في فكر روسو السياسي	
المبحث الأول : مفهوم التربية ومراحلها عند روسو	**40- 51**
المبحث الثاني : أقسام التربية عند روسو	**52- 54**
المبحث الثالث : علاقة الحرب بالتربية عند روسو.	**55- 59**
خاتمة	**61**
قائمة المصادر والمراجع	**63- 65**

مقدمة

مقدمة

تميزت الفلسفة الغربية الحديثة بالطابع النقدي لمختلف القيم التي كانت سائدة من قبل، وخاصة في المرحلة الوسيطية، أصبح العصر الحديث بمثابة اتساع لمختلف المعارف الإنسانية، بعدما كانت مقيدة في تلك المرحلة الوسيطية من تاريخ الفكر الأوروبي، وكل هذا ساعد على ظهور فلسفات جديدة قوامها حرية التفكير الإنساني .

ولقد فتح؛ المجال أمام فلاسفة وعلماء حاولوا أن ينظّروا، ويفسروا مختلف الظواهر الإنسانية وفق ما يقتضيه العقل، ولعل من أهم الجوانب التي تطرق إليها فلاسفة العصر الحديث نجد الجانب السياسي، الذي حاول من خلاله فلاسفة السياسة، تحرير مختلف الأفكار، التي كانت مصبوغة بجانب ديني، وهذا ما عمل لأجله الفيلسوف الفرنسي " جان جاك روسو (John Jack Rousseau)،(1712-1778م)* " الذي حاول أن يفسر الظاهرة السياسية من منطلق ما يقتضيه التفكير الإنساني الحر، موجها بذلك نقدا لادغا للفكر السكولائي، ومختلف الأنساق الفلسفية السياسية التي كانت سائدة آنذاك.

وحاول "روسو" في مشروعه السياسي الربط بين جانبين الحرب و التربية في نشأة المجتمعات السياسية، إذ يرى أن لتحقيق مجتمع فاضل لا يكون إلا من خلال مرافقة التربية لمختلف أطياف المجتمع .

والإشكالية المراد البحث فيها في هذا العمل؛ تتمحور حول العلاقة بين مقولتي الحرب والتربية عند روسو؛ فهل الحرب والتربية كفيلان باسترجاع الطبيعة الإنسانية المسلوبة إلى فطرته الأولى؛ و ما علاقة الحرب بالسلم في نسق "روسو" السياسي؟

ولقد اندرج ضمن الإشكالية المحورية للبحث، مجموعة من التساؤلات:

- كيف أثرت مختلف الأوضاع السياسية والاجتماعية في فكر روسو السياسي؟
- ما هو موقف روسو من مختلف الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك؟
- كيف فسر روسو نشأة المجتمعات السياسية؟
- ما العلاقة الكامنة بين الحرب والتربية في نسق "روسو" السياسي؟

– ما هو مفهوم التربية عند "روسو"؟ وما علاقتها بالسياسة؟

وللإجابة على هذه الإشكالية المطروحة، وما نتج عنها من تساؤلات، اعتمدنا على الخطة التالية:

الفصل الأول تناولنا الأطر العامة السائدة في عصر "روسو" وذلك بداية بالأوضاع السياسية التي كانت سائدة آنذاك، فالمبحث الأول الذي كان عنوانه الإطار السياسي الذي كان سائدًا في عصر "روسو"، والذي يتسم بسيطرة النظام الملكي المطلق، المتبع من طرف الملوك والأباطرة عبر العصور، وكان ينطوي ضمن نظرية الحق الإلهي، وفي المبحث الثاني تناولنا الوضع الاجتماعي والفوارق الطبقية التي كانت تمتاز بها المجتمعات الغربية، أما في المبحث الثالث فتطرقنا فيه إلى موقف روسو حول كل هذه الأوضاع التي كانت سائدة في عصره، وكيف ساهمت في تكوين شخصية "روسو" الفكرية و السياسية.

أما الفصل الثاني الحرب في فكر "روسو" السياسي، ففي المبحث الأول تناولنا تصور "روسو" لنشأة المجتمعات السياسية من منطلق افتراضه لوجود مجتمع طبيعي قبل المجتمع المدني أو السياسي، وهذا كان بمثابة نقد لمختلف الفلسفات التي كانت تؤكد على أن الإنسان حيوان سياسي، أما في المبحث الثاني والمعنون بآليات الانتقال من الحالة الطبيعية السلم إلى الحرب، فتناولنا فيه الافتراض الذي اعتمد عليه "روسو" باعتبار الحالة الطبيعية سابقة عن التعاقد الاجتماعية، ومن ثمة اعتبر أن العقد الاجتماعي هو وسيلة لتجاوز الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية، أما المبحث الثالث الصراع السياسي في فكر "روسو"، وتناولنا في هذا الإطار أصل النزاع بين البشر في الحالة المدنية والمبنية في أساسها على القوانين وتحديد الملكيات التي يعتبرها "روسو" بمثابة النواة الأولى لنشأة الصراع السياسي في مستواه الفردي والاجتماعي والسياسي.

أما الفصل الثالث والأخير؛ التربية في فكر روسو السياسي، ومن خلال هذا الفصل تطرقنا بعد تحليل "روسو" للمجتمع السياسي إلى أجزائه البسيطة وإعادة تركيبها من جديد

إلى كيفية صناعة مجتمع سياسي فاضل وإعادة الطيبة المسلوبة للإنسان والتي كان يتمتع بها من قبل في الحالة الطبيعية، فالإنسان حسب التصور "الروسوي". خير بالطبيعة، والظروف الاجتماعية جعلت منه شريرًا، ففي المبحث الأول تناولنا مفهوم التربية ومراحلها عند "روسو"، وهذا بالاعتماد على مصدر "روسو" المتمثل في كتابه "إميل"، أما المبحث الثاني أقسام التربية عند "روسو" بين الطبيعية والإنسانية والشيئية، أما المبحث الثالث والأخير فكان عنوانه علاقة الحرب بالتربية عند "روسو"، وهنا توصلنا إلى أن التربية ضرورية عند "روسو" لإعادة الطيبة الأولى للإنسان والمسلوبة منه بمختلف القيم والمعايير السياسية والاجتماعية.

لتحليل الإشكالية السابقة الذكر؛ اعتمدنا على مجموعة من المناهج، في البداية على المنهج التاريخي قصد تقصي الحقائق التاريخية لمختلف الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتأثيرها على فكر روسو السياسي، وفي خطوة ثانية اعتمدنا على المنهج التحليلي، وذلك من خلال تحليل نصوص روسو السياسية، سواء ما تعلق منها بالجانب السياسي أو الاجتماعي أو التربوي، في حين اعتمدنا في خطوة ثالثة على المنهج النقدي، وذلك من منطلق أن الدراسات الفلسفية تعتمد في أساسها على النقد، وكذا محاولة منا لنقد مختلف أفكار روسو السياسية.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مختلف الأطر والعوامل البيئية، التي ساهمت في بناء فكر "روسو"، وكذا التعرف على الثورة الفكرية التي أحدثها روسو من خلال تقويضه للفكر السكولائي الذي كان سائدا في عصره، وأيضا التعرف على كيفية نشأة المجتمعات السياسية من خلال آلية الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية، ومحاولة توضح العلاقة الكامنة بين الحرب والتربية، ولما لهما من أهمية في صنع جيل جديد قوامه الطيبة والتربية في آن واحد.

ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، أولا الأسباب الذاتية، وذلك رغبة منا لدراسة الفلسفة السياسية الغربية الحديثة عموما، و فلسفة "جون جاك روسو" خصوصا، وكذا الإعجاب بطبيعة فكر جون جاك "روسو" الذي حاول إعادة الاعتبار للإنسان. أما الأسباب الموضوعية لاختيار هذا الموضع، فتعود في أساسها إلى محاولة كشف الستار عن العلاقة الكامنة بين ما هو سياسي وما هو تربوي. كما تهدف الدراسة أيضاً إلى التعرف على النسقية السياسية عند "روسو" من خلال ربطه المنطقي بين ما هو سياسي وما هو تربوي.

وأهم الصعوبات التي واجهتنا في هذه الدراسة ليست بالعراقيل الكبيرة إلا أنها كانت سببا في تأخر هذا العمل من الناحية الزمنية، وذلك لما تمر به البلاد من أزمات سياسية، مما نتج عنها إضرابات في الدراسة، وعطل فجائية أثرت علينا كثيرًا في بحثنا هذا، ولم تمنح لنا الفرصة الكافية لاستغلال طاقاتنا الفكرية في البحث، والاتصال كثيرًا بالأستاذ، كما أنه هناك صعوبة في الحصول على أهم المصادر الورقية من مكتبة الكلية، كل هذا ساهم ولو بالنزر القليل في عرقلة بحثنا هذا، ولكن على الرغم من كل هذا وذاك، إلا أننا عملنا على إخراج هذا العمل على صورته الحالية.

الفصل الأول: الأطر العامة السائدة في عصر روسو

المبحث الأول: الإطار السياسي السائد في عصر روسو

المبحث الثاني: الإطار الاجتماعي السائد في عصر روسو

المبحث الثالث: موقف روسو من الأطر السائدة في عصره

شهدت أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ميلادي، عدة حروب أهلية وثورة ضدّ الأنظمة السياسية بمختلف أنواعها، ومحاولة التحرر من الاستبداد السياسي، الذي كان قائماً آنذاك، وسوف نحاول من خلال هذا الفصل تطرقنا لمختلف الأوضاع السياسية، والاجتماعية التي كان لها تأثير بالغ في تكوين شخصية "جان جاك روسو" السياسي.

المبحث الأول : الإطار السياسي السائد في عصر روسو.

في هذا المبحث تطرقنا إلى أهم الأوضاع السياسية، التي كانت سائدة في فرنسا فترة حكم**" لويس الرابع عشر(Louis XIV) من (1661 إلى 1715) "***، والتي كان لها الأثر البالغ في فكر روسو السياسي.

آمن **" لويس الرابع عشر " (1643_1715)** أثناء توليه الحكم أنه مبعوث لعناية حكم فرنسا، وذلك بسلطان مطلق، وقد أخبره والده أن الله يجعل من الملوك المحافظين الوحدين لصالح العام، وأنهم خلفاء الله على الأرض.[1]

بمعنى أن الحاكم هنا مفوض من عند الإلهْ لحماية مصالح المواطنين، وإدارة شؤون الدولة بحكم مطلق، وهذه الفكرة المطلقة كانت متوارثة لدى الحكام الفرنسيين، وهوما يصطلح عليها **" بنظرية الحق الإلهي" ****** بأنواعه الثلاثة التفويض الإلهي المباشر، والغير المباشر ونظرية والنظرية التالية، وجدور هذه النظرية ضاربة في عمق التاريخ البشري.

---

*"لويس الرابع عشر"(1643،1715): ابن لويس الثالث عشر،صار ملك لفرنسا وعمره خمس سنوات مكث الى بلوغ رشده تحت كفالة أمه حانة دوستريا،وكان يجب أن يكون زمام المملكة مدة قصوره بيد مجلس نيابة يكون رئيسه كونده عملا بوصية والده لويس الثالث عشر،إلا أن أمه أبطلت هذه الوصية بمساعدة مجلس باريس ونالت النيابة إلى نفسها وجعلت مصالح الدولة تحت إدارة الكردينال مازارين .للمزيد من الإطلاع الرجاء العودة إلى :

– حسن إفندى قاسم خوجة،تاريخ ملوك فرنسا من مبدأ ملكهم إلى الملك لويز فيليب.(دط؛القاهرة:دار الطباعة الباهرة،1848)،ص195.

[1] ويل ديورنت، **قصة الحضارة**، عصر لويس الرابع عشر،تاريخ الحضارة الأوروبية،تر:فؤاد أند رواس،مراجعة،علي أدهم(دط،بيروت:دار الجيل)ج1،المجلد الثامن،ص25.

**نظرية الحق الإلهي:هذه النظرية لا ترى أن الحاكم هوإلاه، أومن طبيعة الاهية وإنما الحاكم هوإنسان يمتد سلطته من العناية الإلهية وحدها دون تدخل أحد من البشر في إختياره فهويختار من قبل الله بطريقة مباشرة . للمزيد من الإطلاع الرجاء العودة إلى:

- محمد صباح الفلتاوي، **نظرية الحق الإلهي والعقد الإجتماعي** ،دراسة مقارنة،العدد العاشر،مركز دراسات كوفة جامعة كوفة ،2008،ص100

وقد دعّمت الكنيسة الملك، وساعدت على تجسيد هذا المبدأ، فأمن بمقولة أنا الدولة والدولة أنا، والتي تمثل الحكم المطلق المستبد .

كما أنه إعتمد على فكرة "توماس هوبز(thomas Hobbs) *"، في أنه لا يمكن وجود طرف ثالث بين الحكم والفوضى.[1]

يعني هذا أن المواطنين ليس لديهم أي سلطان فإتخاد القرارات، فكل قرار راجع للملك والكنيسة، والحاكم هنا كان يمثل السلطات الثلاث، كان طغيانه كبير حيث أنه لا يَستشير ولا يُستشار في ولا يناقش في معظم قراراته المتعلقة بمصير الدولة يُضع من يشاء وينزعُ من يشاء، وهذا إن دلّ على شئ إنما يدل على أن الحاكم في تلك الفترة كان يتمتع بسلطان مطلق، ولا يحده شئ.

"وفي عام (1665) حيث أراد أن يناقش **"لويس الربع عشر"** بعض مراسيم الركب في ثياب دخل قاعة البرلمان بحذائه العالي وسوطه بيده، ثم قال إنّ الكوارث التي جرتها مجالسكم معروفة ومشهورة، لذلك آمركم تفظوا هذا المجلس الذي إجتمع لمناقشه مراسم سيدي الرئيس الأول أمنعك من السماح بهذه الإجتماعات وأمنع أي فرد منكم بالمطالبة بها".[2]

إتّسم العصر الحديث وخاصة في القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، بظهور ما يمكن أن نسميه بالحكم المطلق للملوك وذلك من منطلق أن الحاكم له حقوق مطلقة على الرعية من دون قيود ولا شروط فهو يملك الحرية المطلقة في تعيين الوزراء

*ولد "توماس هوبز" في مالمسبري عام 1588، لوالد كان قسيسا، وبعد تخرجه في أكسفورد،حيث أغرم بالغات القديمة والرياضيات،عمل خدمة الأسرة كافنديش،وبين عامي 1608و1610،إتنقل بين فرنسا وإيطاليا، من أهم أعماله كتابه اللفياثان أو المادة والشكل والقوة لدولة دينية ومدنية، للمزيد من الإطلاع الرجاء العودة إلى:
-توماس هوبز ،**اللفياثان،الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة**، تر:ديانا حرب وبشرى صعب،مراجعة وتقديم:رضوان السيد،(ط1؛أبو ظبي: للثقافة والتراث،2011)ص،ص10،9.

[1]جورج سباين،**تطور الفكر السياسي**،تر،علي إبراهيم السيد،مراجعة:راشدالبراوي،(ط4؛القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب)،ص،ص17،16.

[2]ويل ديورنت، **قصة الحضارة**، مرجع سابق،ص26.

وطاقمه الحكومي، وذلك حسب ما تمليه عليه أهوائه وميوله الشخصية دون وجود ضوابط وقواعد تحدد ذلك .

ويظهر لنا هذا بجلاء في مناداة "توماس هوبز" بالحكم المطلق من خلال تحكمه في سلطتين الزمانية والدينية أو السلطة الروحية والسلطة الدنوية، كما أن كتابه الليفياتان (L'Léviathan) أحسن تعبير عن الحكم المطلق آنذاك، من خلال صورة الكتاب: ففي اليد اليمنى هناك السيف، وهو دلالة رمزية على القوة، بمعنى أن الدولة لا تسير إلا بمقتضى القوة، في حين في يد الحاكم اليسرى تظهر العصا البابوية، وهي دلالة رمزية على أن الحاكم يتحكم في السلطة الدينية بمعنى أن الحاكم حسب "هوبز" يتحكم فيما هوزماني دنيوي، وما هو روحي ديني دون ظوابط ولا قيود أوبدون شروط.

"لقد كانت الأعوام الثلاثون الأخيرة في حكم "لويس الرابع عشر" الطويلة الأمد، من حوالي سنة (1685) حتى وفاته سنة (1715)، سنوات إنحلال متزايدة فبعد فترة من المجد العسكري الذي سحر فرنسا إقترف "لويس الرابع عشر" خطيئة الفشل الرئيسية، ذلك أن طموحه جعل كل أوروبا تقف صفا واحدا ضده وانتهت خططه المتشامخة للغزو بالإذلال، ودفعت البلاد نتيجة غزوه المتزايد الذي جعله يقود البلاد إلى الإفلاس وأشاعت الضرائب الجائرة التي تفتقر لعدم المساواة ".[1]

وعليه قاد "لويس الرابع عشر" البلاد إلى الفقر، لأن طبقة النبلاء والكنيسة قد أعفيت من الضرائب الجائرة، فكان الغني يزداد غنى والفقير يزداد فقرا، وتعسفا إلا أن طغيانه وإستبداده لم يتوقف هنا فقط بل تعدى للمساس في الجانب الديني.

يظهر ذلك من خلال**" إلغاء مرسوم النانت"** الذي وضعه **"هنري الرابع"*** سنة (1598) الذي يقرر مبدأ التسامح بين الأديان، وأنهى التسامح الديني عند **"البروستانت"****

---

[1] جورج سباين، **تطورالفكر السياسي** ،مرجع سابق.ص ص17،16.

*هنري الرابع ،الملقب لوغراند(أي العظيم اوالكبير)،ومدة حكمه من 1589_1610م طعن في إستحقاقه الولاية على المملكة بكونه بروستانتيا ،للمزيد من الإطلاع الرجاء العودة إلى :

- قاسم خوجة، **تاريخ ملوك فرنسا من مبدأ حكمهم إلى الملك لويس فليب**،مرجع (دط؛قاهرة:الباهرة،1848)،ص173.

**البروستانتية:هي كلمة مشتقة من مصطلح الفرنسي،protestants،والذي يعني المجتمع،هي مذهب ظهر على أنقاض الديانة المسيحية آنذاك ومحاولة إصلاح مفاسدها،و أهم روادها مارتن لوثر،كالفن.

في فرنسا وإماراة أورانج، وحبس جميع القساوسة وأحرق الأناجيل وحول جميع السكان الى **"كاثوليك"*** بالقوة وحرمهم من حق مبارحة فرنسا، كما أنه سلب للأسر أبنائهم ورجالهم وجعلهم رقيق لدولة [1].

هذا جعل من كل مواطن فرنسي يحمل في طياته كره شديد ضد الحكم والملك، مما سيؤدي فيما بعد إلى القيام بثورة ضده، كما أن هذا الكره بداية لتشكل بوادر أفكار السياسية وإجتماعية من قبل الفلاسفة المفكرين الفرنسيين، ومحاولة بلورة أفكار تحاول التخلص من الحكم البائد المطلق.

ومن بين الفلاسفة السياسيين الذين كان لهم تأثير كبير لنجاح الثورة الإنجليزية الفيلسوف **"جون لوك(John Locke)(1632_1704)"** الذي كان رافضا هو كذلك لنظام المطلق المستبد، حيث بدأت تظهر محاولات سياسية في فرنسا متأثر بالثورة الإنجليزية وبسياستها الجديدة إذ أن غرضهم تغيير النظام القائم في بلادهم، ومن أبرز هؤلاء المفكرين السياسيين الذين كانت أفكارهما قد حققت بعض التغيير لنظام السياسي السائد في فرنسا وكانت أفكارهم تنص كالتالي :

"مونتيسكيو"(Montesquieu) (1689_1755)**: كان له دور كبير في حرية الفكر لإعجابه بما وصلت إليه إنجلترا وكتب كتابه "روح القوانين" الذي ناقش فيه النظريات

*الكاثوليك:نسبة القديس كريكوبالمنور الكثوليكي ،الذي أدخل نور المسيح على أرمانيا وبفضله إعتنق الملك والحاشيته البلاد، واركانه وجميع أفراد الشعب الديانة المسحية.حيث نال الوسامه كهانوتية وحاز على لقب كاثوليكس،
- تسبق أسماء المؤلفين كل معلومات الكتاب، **تاريخ كل من الكنائس تاريخ الكنيسة الشرقية الكاثوليكية**، مرا :الأب صبحي حموي اليسوعي،إشراف: يوسف ضرغام ،(ط1؛بيروت:دار المشرق 1997)، مجلد2، ص20.
[1] ميثاق بيات الضيف، **الأوضاع الإجتماعية**،في عصر لويس الرابع عشر،ملك الرحيل،1688-1701،عدد352،ص28.
[1] عبد الله عبد الرزاق ،شوقي عطاء الله الجمل ،**تاريخ أوروبا ،من النهضة إلى الحرب الباردة**،
**"مونتيسكيو"، من أشهر الكتاب الذين إنتقدوا القيود التي تفرضها الكنيسة على حرية الفكر وسخر من إدعاءات الكنيسة عن قدرتهم على عمل المعجيزات ونادى بمبدأ التسامح الديني وزارا،إنجلترا أيضا وأبدى إعجابه بالنظام الملكي المقيد بها. للمزيد م الإطلاع الرجاء العودة إلى:
- عبدالله عبد الرزاق،شوقي الجمل ،**تاريخ أوروبا من النهضة والحرب الباردة** ،(دط؛القاهرة:المكتب المصري ،2000)، ص83.

السياسية السائدة في عصره، ومختلف نظم الحكم ،وخاصة النظام الإستبدادي، كما أنه نادى بضرورة فصل السلطات التشريعية والقضائية، والتنفيدية.[1]

لاقت أفكار "مونتيسكيو" إقبالا كبيرا عن ما جاء به من أفكار نادت بالحرية وإسقاط مختلف أساليب النظام المطلق، كما أنه تأثر بأفكار الإنجليزية، حيث انه قام بنشرها في فرنسا، فكان له الفضل في التأثير على من حوله من المفكرين والدين من بعده، وكذلك من بين المفكرين السياسيين الذين كان لهم الأثر في الفكر السياسي الفرنسي نجد السياسي.

" فولتير"* (Voltaire) (1694_1778): فقد تميز هذا الأخير بأسلوبه الناقد واللاذع في كتاباته، وأعجب أيضا بالحرية التي وجدها في الشعب الإنجليزي والذي يستطيع، أن يعبر عن آراءه دون أن يمسه ضرً، كما أنه أيضا هاجم الكنيسة، وإنحرافها عن المسائل الروحية، وتدخلها في الأمور السياسية.[2]

هكذا كانت أفكار " فولتير" موافقة لما جاءت به أفكار "مونتيسكيو" فكلاهما نادى بالحرية وجاءا ضدا الكنيسة وأعجبا بالأفكار الإنجليزية عموما ،و"لوك "خصوصا كل هذا يعكس على أن الأوضاع في فرنسا لم تحضى بما حضيت به إنجلترا، بالرغم بأن إنجلترا لازلت تحتفظ بالنظام المطلق، إلا أنها لم تسلطه على المواطنين، وإنما لم تطوق حرية الأفراد وعدم ثورتهم على النظام السياسي القائم، على عكس ما كان بفرنسا من نظام مطلق وكبت للحرية، وتعسف كنائسي وقهر للعبيد .

كل هذا جعل من المفكرين السياسيين يحاولون نقد النظام الملكي المطلق، وعدم قبولهم لتلك الأوضاع ، فأبدوا عن رغبتهم في القيام بإصلاحات سياسية للحد من الظلم والاستبداد، وإعطاء الإنسان حقوقه و الحريته في الدولية.

---

[1] عبد الله عبد الرزاق ،شوقي عطاء الله الجمل ،**تاريخ أوروبا ،من النهضة إلى الحرب الباردة**، (دط؛القاهرة:المكتب المصري ،2000)،ص،ص84،83

*"فولتير"، من أشهر كتاب القرن الثامن عشر، وإشتهر ،بالجرأة في كتاباته، زج به في سجن البستيل فترة بسبب تحديه لأحد النبلاء، وزاء إنجلترا، وأعجب لما لمسه من حرية الشعب الإنجليزي، فقرأ لكبار الكتاب الإنجليز مثل لوك وشكسبير.للمزيد من الإطلاع الرجاء العودة إلى :

-عبد الله عبد الرزاق، شوقي الجمل،تاريخ **أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة**مرجع نفسه.ص83

[2] عبد الله عبد الرزاق، شوقي عطاء الله الجمل، **تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة**، مرجع نفسه، ص83

في هذا يقول "جورج سباين ***": " يجب أن يهدف الإصلاح السياسي إلى تحقيق قيام حكم مسؤول، وجعله حكما تمثيليا، والحد من الطغيان والمساوئ...ويجب أن يهدف إلى خلق مجتمع يكون فيه نشاط الفرد وقدرته، هما مفتاح السلطة والجاه "***.[1]

يتبين لنا هنا أن للقيام بإصلاح الحكم يجب على الفرد أن يكون له دور في التغيير، وأن يكون مسئولا يطالب بمساواته، وحريته، ورفضه للإضطهاد والتعسفية، والظلم، مما سيؤدي فيما بعد إلى قيام المواطنين، بثورة ضد النظام القائم ومن ثم إلى إصلاحات سياسية تربوية على الحكم.

و***"عليه ظلت طبقة النبلاء في مجموعها، سيدة المنطقة نفوذها القديمة العهد، المعترفة بواجباتها في زمن الغابر"[2].***

بمعنى أن الطبقة النبلاء وضعت قدمها على المناطق الفرنسية وسيطرت على كل الأراضي، حيث إعتبرت لنفسها لها الحق في كل ثروات البلاد وكانت فكرة جمع الثروة النفوذ متوارثة عبر تاريخ النبلاء منذ الأعوام القديمة

[1] جورج سباين، **تطور الفكر السياسي**، مرجع سابق، ص20.
[2] فرانسوا فوريه وديني ريشيه، **الثورة الفرنسية**، تر: زياد العودة، (ط1؛ دمشق، سلسلة الدراسات الإجتماعية: 2012) ص، 9.

المبحث الثاني : الإطار الاجتماعي السائد في عصر روسو.

لقد انعكست الأوضاع السياسية في فرنسا، من حكم مطلق مستبد على البيئة الاجتماعية، إذْ خلفت فوارق طبقية بين الشعب الواحد.

فكان المجتمع الفرنسي عبارة عن نسيج من الامتيازات جعلت الانقسام بين الطبقات أشد وعيا وأكثر استفزازا. حيث كان المجتمع الفرنسي يئن من الفروق الصارخة بين الطبقات وأفراده حيث قسم المجتمع إلى ثلاثة طبقات[1]، والتي هيا كالتالي:

1- طبقة الأشراف : تمثل طبقة النبلاء التي كانت قريبة من الملك، فكانوا يتمتعون بامتيازات عديدة، إلا أنهم لم تكن لديهم سلطة كبيرة في الحكم بل الملك وحده من ينفرد بسلطة المطلقة، ومن بين الامتيازات التي كانوا يحضون بها، إعفائهم التام من الضرائب الجائرة على حساب الطبقة الكادحة، إلا أنه كانت توجد في هذه الطبقة بعض أطراف تحاول الإصلاح.[2]

كانت طبقة النبلاء تحمل امتيازات هائلة، إذ أنها كانت في نظر الطبقة العامة عبارة عن طبقة ظالمة تستغل نفوذها من أجل نهب الثروات، وهذا مما سبب كراهية بين الطبقتين إزاء الفوارق الغير المنصفة في توزيع الثروات.

"حيث أن طبقة النبلاء تمتعت بإمتيازات بلا سلطة سياسية، أوزعامة فالزراعة الرئيسية لم تتح لهم فرصة التطور الإقتصادي في رأس المال كالتي يتمتع بها مالك أرض في الإنجليز"[3] .

هذا سيؤدي إلى إفراغ الخزينة وذلك بنهب القدر الأوفر من الإمتيازات كالتملك الأراضي دون خدمتها وجعلها أملاك محفوظة فقط هذا سيجعل من البلاد في حالة من الجوع والفقر.

2- رجال الدين :تمثلت هذه الطبقة بسلطة الكنيسة في فرنسا، حيث إعتبرت نفسها السلطة الثانية بعد الملك، وظفرت هيا كذلك بإمتيازات جوهرية من خلال تحصلها على مساحات

[1]عبد الله عبد الرزاق، شوقي الجمل، **تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة**،مرجع سابق،ص87.
[2]المرجع نفسه ، ص88.
[3]جورج سباين،**تطور الفكر السياسي**، مرجع سابق،ص23.

كبيرة من الأراضي الفرنسية من قبل كبار رجال الدين، فتمتعوا بالثراء الفاحش، وإنصرف عدد كبير منهم عن الشؤون الدينية لشؤون الدنوية .[1]

لم يقل ظلم هذه الطبقة عن التي قبلها على عاتق الطبقة العامة، فكلهما كانتا أسوء من الأخرى، لكن ما عاب هذه الطبقة بإعتبارها طبقة دينية حقوقية، تمتاز بالجانب الأخلاقي كل هذه الصفات تتماشى مع ما هوديني، فكيف لطبقة مثلها أن تكون ظالمة بحق العامة، ونهب ثروات البلاد كلها لأجل الكنيسة فقط، دون مرعاة الطرف الأخر من الشعب، وهذا ما يوضح عدم تطبيق الكنسية لطقوسها الأخلاقية وبذلك زادا كره العامة لهذه الطبقتين أكثر، مما سيجعلهم يسعون إلى حلول للتخلص من هؤلاء الظلام، وذلك بالقيام بثورة ضد الإستبداد والظلم ونظام القائم.

وتعد طبقة رجال الدين من المسببين في أيضا في خسارة البلاد حيث أن الإمتلاكات الجوهرية التي تلقتها هذه الطبقة من الأراضي كذلك، إذ أنهم كانوا يملكون حوالي خمس أراضي فرنسا، بالإضافة إلى دخل طائل[2] .

يعني هذا أنهم ليسوا أقل إنتهاكا لثروات من الطبقة النبيلة حيث أن هذه الإستنزافات التي حضيت بها كلا من الطبقتين أدتا إلى تدهور الحال الإقتصادية للبلاد وهذا راجع لعدم توازن في توزيع الثروات.

ضف إلى ذلك، أن رجال الدين كان لهم موردا إضافيا هو ضريبة العشر، أي ضريبة الواحد على عشرين من جميع المحاصيل كل هذا ثروة العقارية في مملكة فرنسا كانت محتكرة وحدها لرجال دين فقط[3]. هذا كله ضلم وإستبداد منحته السلطة الفرنسية لرجال الدين على حساب عامة الشعب.

3- العامة : تمثل هذه الطبقة عامة الشعب وتظهر في العديد من الطوائف المختلفة أولهم الطائفة "المثقفة" وهي المتعلمة والحرفيين والتجار، حيث كانوا يحقدون على طبقة النبلاء

1عبد الله عبد الرزاق،شوقي الجمل ،**تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة** ،مرجع سابق ص88
[2]جورج سباين، **تطور الفكر السياسي**،مرجع سابق ،ص22.
[3]فرانسوا فوريه وديني، **الثورة الفرنسية**، مرجع سابق، ص، 9.

لما يتمتعون به من إمتيازات على حسابهم، من ما كسبوه التجار والصناع، كما كانوا يشاركون في الحركة الفكرية السائدة في عصرهم لم يبدوعن رفضهم لإمتيازات التي كانوا يتمتعون بها الأشراف عنهم.[1]

يعني هذا أن من الأسباب الأولى لظهور بوادر الحركات الفكرية في الطبقة العامة هي الطبقة المتعلمة فيها، وذلك لعدم رضياتهم عن الوضع القائم آن ذاك، مما جعلهم يحاولون إثارة العامة وتوعيتهم لأجل القضاء على الحال التي هم عليها.

حيث أن العامة كانوا ينضرون لطبقة النبلاء ورجال الدين على أنهم عبارة عن طفيليات مزخرفة بامتيازات اجتماعية وإعفاءات جوهرية من أثقال الضريبة.[2]

و الأسباب التي زادت من كراهية العامة اتجاه الطبقتين، والتي ستجعل من عامة الشعب يحاولون الانقلاب على هؤلاء الطفيليات، وذلك بعدم السماح لهم بنهبهم عن طريق أخد أكبر قدر من الامتيازات على حسابهم.

"الطائفة الثانية" وهي الفلاحون، ويمثلون الأغلبية وقد فتطنوا لما هم عليه من ظلم مجحف والأعباء الكثير عليهم بسبب دفعهم للضرائب الجائرة التي كانوا يدفعونها فوق عاتقهم، حيث أنهم أكثر الطبقات بؤسا، وأسوأهم حالا بالأعباء المالية، وكانت الأكثر حقدا على الطبقتين الأولى والثانية لما كانوا يمتلكون من حقوق غيرهم .[3]

هذا الاختلال التوازني الطبقي جعل كراهية كبيرة بين الطبقات حيث الأقلية الأغنياء ورجال الدين الذين يملكون كل رأس الثراء لا يدفعون ولودرهم في دفع الضريبة، والأغلبية الفقيرة التي لا حولا عليها ولا قوة تدفع ما طاقة لها من الظرائب الجائرة هذا ما يسمى ظلما بمعنى الكلمة ونهك لحقوق الإنسان .

وما تبقى لنا ذكره عن أخر طائفة في الطبقة العامة، وهم" رجال الجيش " هذا الآخير الذي يمثل هوأيضا عامة الشعب، فقد كانت المراتب العليا لطبقة النبلاء رغم أنهم

[1]عبد الله عبد الرزاق ،شوقي الجمل ،**أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة** ،مرجع سابق،ص89.
[2]جورج سباين، **تطور الفكر السياسي**، مرجع سابق،ص23
[3]عبد الله عبدالرزاق ،شوقي الجمل، **أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة**،مرجع نفسه ،ص89

أقل خبرة من الجيش، حيث أنهم لم يكونوا داخل ميدان الحرب ،إلا أنهم يملكون الوسامات العليا، على حساب الجيش، مما ترتب عن ذلك تمرد الجيش عن روؤسائهم وإستخفافهم بهم، وإنتشار الجماعات السرية في صفوف الجيش من أجل الإنقلاب على الحكومة المستبدة.[1]

هذا التفاوت الطبقي بين طبقات المجتمع، شكل نوع من المشاحنة والصراع الإجتماعي في تلك الحقبة، نتيجة التفاوت في المراتب والإمتيازات، التي كانت تمنح لطبقة دون الآخرى، لما نلاحظ هذا النظام الطبقي الغير عادل نتوقع وجود كراهية مكبوتة بين طبقات المجتمع، وخاصة لدى طبقة العامة، لإحتكار الطبقات الغنية لثروات ،وعليه تضخمت الكراهية نحوى الطبقتين الأولى والثانية ،مما سيعزز إلى محاولة القيام بضربات معاكسة ضد النظام ومحاولة القضاء عليه .

وذلك بنمو الروح الفكرية والثورية ضد نظام الحكم السياسي والنظام الطبقي الإجتماعي القائم في تلك الحقبة، وذلك بظهور مفكرين سيكون لهم الفضل في نجاح الثورة الفرنسية للقضاء على النظام المستبد المعاش حينها.

لا ننكر أن الأوضاع السياسية والإجتماعية، كانت متدهورة في فرنسا آنذاك لأن سياسية " لويس الرابع عشر" قد تبناها جميع من ورثوا الحكم من بعد ووصلوا نهجه، لكن هذا لا يعني أنه لا يوجد جانب مشرق من كل هذا فقد إزدهرت الفنون والهندسة المعمارية أكبر مثال قصر "فرساي".

"فتسلط رجال الدين والنبلاء، إن كان قائم على الأرض، فهذا كان محفورا في النفوس أيضا، والنظام الإجتماعي، ليس مجرد أمر واقع، بل هذا مستمد من الحق الإلهي"[2]

كما أن الوضع الإجتماعي في تلك مرحلة ليس أقل درجة من الوضع السياسي، فوأيضا كان ينادي بالعدالة، والحرية، والمساواة لكنها بقيت حسية ينشد بيها فقط ولا يمكن

[1] عبد الله عبد الرزاق ،**أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة**،مرجع سابق ،ص89.
[2] فرانسوا فوريه وديني ريشه، **الثورة الفرنسية**، مرجع سابق، ص10.

تطبيقها في أرض الواقع، فهي مجرد شعارات تنادي بيها الحكومة دون تطبيقها في الواقع، كل هذا زادا في تمزق الإجتماعي والإقتصادي والسياسي في أوروبا وخاصة لما كان سائدا في فرنسا .

فإذا كانت فرنسا، كالسابق الذي كانت تعاني من التمزق السياسي، والإجتماعي والأخلاقي، والإنحلال الديني، فما هوموقف "جان جاك روسو" من هذه الأوضاع ؟، وبصيغة أخرى، كيف حاول روسوأن يخلص الإنسان الفرنسي من مأساته السياسية آنذاك ؟.

المبحث الثالث: موقف روسو من الأطر السائدة في عصره

بعدما تطرقنا بمختلف الأوضاع التي كانت تصبغ الحياة السياسية والإجتماعية في فرنسا سوف نحاول إستعراض موقفه، وذلك من منطلق، أن "روسو" هو وليد بيئته الإجتماعية، والسياسية، والإقتصادية . فما هوموقف "روسو" من ذلك؟.

هكذا كان الحال" لروسو" والذي عاش الأوضاع السياسية المضطربة من حكم مطلق وإستبداد ومجتمع طبقي، يزداد فيه الغني ترفا والفقير أثقلته الضرائب والأعباء، ومختلف التباعيات الدينية والسياسة.

إلا أن هذا لم يمنع من وجود مفكرين حاولوا تسليط الضوء، على النظام الفاسد وإيجاد بعض الإصلاحات السياسية أمثال "مونتيسكو" و"فولتير" فكل منهم حاول بأسلوبه الخاص إيجاد حلول وإصلاحات آنية.

رغم أنهما كانا من طبقة النبلاء، عكس "روسو" الذي كان يمثل الطبقة الكادحة التي كانت الأكثر ضرر، ويقول "روسو" ***" لم يهدف مونتيسكيو إلى معالجة مبادئ الحق السياسي وإنما كان يكتفي بمعالجة الحق الوضعي (القانون) للحكومة القائمة"***.[1]

يعني أن "مونتسيكو" معالجته لم تكن جدرية بل إكتفى بإصلاحات النظام المطلق وذلك بفصل بين السلطات الثلاثة ، التشريعية، التنفيدية , والقضائية بحكم أنه لم يكن قريب من الأوضاع التي يعانيها العامة لإعتباره من النبلاء عكس "روسو" الذي جاء رأيه مغاير لسابقيه في طريقة طرح آرائه الفلسفية، التي كانت كلها تتكلم عن الحقوق الإنسانية ككل، حيث ألف مجموعة من خيرات ما أنتفعت به الإنسانية من بينها (الإعترافات، أصل التفاوت بين الناس، العقد الإجتماعي، إيميل) ،مبينا من خلالهم أهم أرائه الفلسفية والسياسية.

لقد كان رافضا للنظام الملكي، والإستبداد ، والحكم المطلق، يقول ***" كنت أود أن أولد، في بلد، لايمكن، أن يكون للسيد وللشعب فيه مصلحة واحدة بذاتها، وذلك لكي تميل***

[1]جان جاك روسو،**أصل التفاوت بين الناس**،تر:عادل زعيتر،(ط1؛ ر القاهرة : دار العالم العربي،2011)،ص9.

جميع الحركات إلى السعادة العامة، وربما، أن هذا لا يمكن ما لم يكن الشعب، والسيد شخصا واحد، فإنني أتمنى لو أني ولدت في كنف حكومة ديمقراطية معتدلة بحكمها" [1]

هنا يؤكد "روسو" في رسالته إلى جونيف على رفضة للنظام المطلق الذي لا يأخذ بعين الإعتبار، رأي الشعب، ويتمنى أنه لوولد في دولة ديمقراطية لأن فيها يصبح الشعب والسيد شخصا واحد، ولديهم هذف واحد، وهوالمصلحة العامة للوطن، كما أن هذا النظام يولد لدى الأفراد الحماسة السياسية والمشاركة في القرارات الحكومية . ولكن السؤال المطروح هنا، هل جميع الدول القائمة على النظام الديمقراطي دول سعيدة ؟، وهل هوكفيل لتحقيق طموح الأفراد؟.

هناك العديد من الدول نظامها ديمقراطي، إلا أنها ظالمة ومستبدة، وتدعي تبنيها لديمقراطية وحكم الشعب، ليكون ستار لجرائمهم، أما من ناحية تدخل الشعب في الحكم "أفلاطون" لديه رأي مخالف "لروسو".

فقد رفض تدخل طبقة العوام في الحكم، فهي ليست كفئة كما انها ليست على درجة كبيرة من الوعي والعلم، لذلك رأى أن النظام الأنجح هو النظام الأرستقراطي أي حكم الاقلية، بالتحديد النخبة أو الفلاسفة، كما أنه رفض الفكرة المتوارثة، هي أن الملك هو مفوض من الإله، وأنه فوق القوانين، ويعتبر نفسه السلطة المطلقة ،فيقول ***" كنت أود ألا يكون في الدولة من يقدر أن يقول أنه فوق القوانين"*** [2]

دليل على وجود المساواة، وأن الملك كان طاغية، ولديه الحق لإرتكاب ما يحلوا له دون رقابة، فهو يمثل جميع السلطات الثلاثة، كما أنه يبرز، وجود ألا عدل، كل هذا يؤدي إلى عدم الاستقرار بين الناس .

ومن جهة أخرى كان "روسو" من الفلاسفة الأوائل الذين حاولوا أن يقوضوا على (التفويض) فكرة الوساطة بين الطبقة الحاكمة والله، أو ما يمكن أن نسميه بنظرية التفويض الإلهي، بأنواعه، وذلك من منطلق أن روسو، أعادا الاعتبار للعالم البشري، وأهمية البناء

[1] جان جاك روسو، **أصل التفوت بين الناس** ،ترجمة عادل زعيتر،(ط2،مصر:الهنداوي لتعليم والثقافة ،2012) ،ص15.
[2] المصدر نفسه ،ص 16.

السياسي، ملغيا بذلك فكرة الحق الإلهي التي كانت تمثل تاج العقول لعصور مديدة، وخاصة ما كان سائدا في الفترة الوسيطية، بحيث أصبح الإنسان في تلك المرحلة يؤمن بفكرة الوساطة بين الله والملك، ومن ثمة اعتباره خليفة الله على الأرض، فمشروع "روسو"هنا هو تفسير الطهارة السياسية وفق معطيات العقل الإنساني.

زد على ذلك كرهه لسلطة المعطاة للكنيسة التي استخدمتها في مصالها الشخصية، فكانت لها سلطة كبيرة، فهمي المقربة من الملك والمؤيدة لقراراته، هذا ما أكسبها إمتيازات خاصة، استعملتها في غير محلها، لذلك عرفت فترة سيطرتها بالإستبداد والظلام ، وإدعانها المسألة الإمانية مسألة ضرورية .

رأى "روسو" أن الدين شئ يخص بين الخالق والمخلوق، وليس هناك سلطة لأي شخص بان يفرض سلطانه على شخص أخر، كما فعلوا "بالبروستانت"، حين أرغموا على تركهم لديانتهم، وإرغامهم على إعتناق "الكاثوليكية"، وهذا قمة الإضطهاد التي وصوا إليها، لذلك يقول ***"أن الناس كانوا سعداء متساوين قبل حلول الأديان ...وأما الديانة الحقة هي بين الخالق والمخلوق وعنها يخلق هذا الأخير الأخلاق ويخدم الوطن ".***[1]

وجه "روسو" هنا انتقادا كبيرا خاص بالكنيسة، لما سببته من الإستبداد والظلم خاصة في تلك الفترة التي عاشها، واعتبر أن الديانة تكون خالصة بين المخلوق والخالق، كمبدأ الثالث المرفوع الذي لا ثالث لهما، الأخلاق تكون سامية في صفات البشر عكس من فرضت عليهم ديانتهم، تكون أخلاق عنده إكراه وإلزام.

كما أن "روسو" حاول أن يفصل بين ماهو سياسي وما هوديني، بإعتبار أن المشكلة الدينية خاصة بالفرد، ولا يمكن تعميمها على بقية الأفراد فالإمان فردي، كما أن الفصل بينهم واجب نتيجة التضارب الخاص بينهما، بحيث للكنيسة حسب رأيه، يقتصر دورها في

[1]جان جاك روسو، **أحلام اليقظة**،تر: ثريا توفيق ،مراجعة:صالح جودت، (ط2؛القاهرة:المركز القومي للترجمة،2009)،ص25.

الشؤون الدينية لاغير، وأن دور السياسة تكون للأفراد المؤهلين لذلك، حتى يضمنوا تسيير الجوانب الاقتصادية، والاجتماعية، وما إلى ذلك ،وأن الكنيسة تكون تحت وصاية الملك .

الفصل الثاني: الحرب في فكر روسو السياسي

المبحث الأول: تصور روسو لنشأة المجتمعات السياسية

المبحث الثاني: آليات الانتقال من السلم إلى الحرب

المبحث الثالث: الصراع السياسي عند روسو

تعددت وتنوعت الأفكار السياسية المفسرة لنشأة الدولة أونشأة المجتمعات السياسية وإختلفت هذه الأفكار نتيجة التأثر بمختلف البنى التي كانت سائدة في كل مراحل الفكر البشري، ولعل أهم النظريات التي حاولت أن تفسر أصل نشأة الدولة نجد نظرية العقد الإجتماعي التي حاولت أن تعطي تبريرات منطقية حول نشأة المجتماعات السياسية وذلك من منطلق الإقرار بأن الإنسان قبل وصوله إلى الحياة الإجتماعية والسياسية المنظمة قد عاش مرحلة طبيعة تمثل مرحلة الفطرة الأولى للإنسان قبل بنائه للدولة. فماهو مفهوم الحالة الطبيعية عند روسو؟، وماهي مبرراته الفلسفية في ذلك؟.

المبحث الأول : تصور روسو لنشأة المجتمعات السياسية

هنا ركزنا على الحالة الطبيعية الإنسانية التي كانت محل دراسات عديدة، حول الفطرة الإنسانية الأولى، التي حاول العديد من الفلاسفة فيها ضبط مفهوم الحالة الطبيعية لعل أبرزهم، "هوبز"، و"لوك"، و"جان جاك روسو" إذ أن كلا منهم أعطى تصوره ومفهومه الخاص للحالة الطبيعية.

مفهوم الحالة الطبيعية (état de Nature)عند"روسو":

يعد "روسو" من أنصار الاتجاه الطبيعي الذي يرى في الحالة الطبيعية على أنها حالة تخلومن الشرور والفساد حيث يتمتع الفرد بالحرية والمساواة، وأن الإنسان في مثل هذه الحالة أخ لأخيه الإنسان، ،حيث لا يحمل حب التملك والسلطة التي تسبب في فساد الطابع الطبيعي لمجتمع بريئ من القيود العقلية المفكرة .يرى "روسو" ***"بأن الإنسان في حالة الفطرة،أي قبل قيام المجتمع المدني حر،كانت الحياة تسودها الفضيلة لأنها حياة طبيعية تقوم على أساس الحرية والمساواة "***[1].

يعني هذا قبل أن تتكون المجتمعات السياسية، كان الإنسان يعيش في الحالة الطبيعية، أي في رحب الطبيعية الأم، حيث لا قيود ولا تفاوت، فالناس كلهم متساوين حسب

[1]محمد نصر مهنا، **تاريخ الأفكار السياسية والتنظير السلطة**، (دط؛ الإسكندرية:المكتب الجامعي الحديث،1999)،ص261.

الطبيعة، وهي الأم الأولى التي يولد فيها الإنسان، ويحتضن فيها تحت ظل المحبة والطيبة، والحنان لذلك يقول ***"روسو أيتها الطبيعة أنت يا أماه، ها أنا ذا بين يديك ،أتلقى الحب والرعايا"***.[1]

فالطبيعة هي المعلم الأّول، وهي الأم الحنونة التي تعني أولادها بالحب والرعاية والاهتمام الذي تقدمه الأم الحقيقة لطفل حديث الولادة، فهذا كله من أجل أن ينشأ تحت ظروف معيشة تحكم فيها جوارح الطبيعة وذلك لتهيئته من أجل خوض المستقبل .

وإعتبر"روسو" أن الحالة الطبيعية غير شريرة ***" فالنفس الطبيعية تحركها الرأفة والرحمة والجمود "***.[2]

يتوضح لنا أن الحياة الطبيعية للإنسان في فطرته الأولى، ذو طبيعة خيرة وطيبة، ورأفة به على غيرة، حيث لا يعرف معنى العداوة والحرب والصراع ضد الأخر.

ويعبر عنها أيضا موجها فيها خطاب عام يقول ***،" فيا أيها الإنسان كن من أي بلد شئت، ولتكن آراؤك كما أردت، واستمع ،فهذا هو تاريخك كما أرى قراءته في كتب أمثالك الذين هم كذبوا، بل في الطبيعة التي لا تكذب مطلقا وكل ما يأتي من الطبيعة يكون صادق"***.[3]

من خلال النص السابق يتضح لنا أن "روسو" يرى بأنه مهما كان، منشأ الإنسان وجذوره الأصلية تعود إلى الطبيعة، والحالة الفطرية التي كان يعيشها، وكل من يدعي غير هذا الافتراض فهو كاذب فالطبيعة عند "روسو" ***"صادقة وبالضرورة كان كل ما يخرج منها صادق بالضرورة فكل شئ يخرج من يد الخالق فهو صالح"***[4].

---

[1]جان جاك روسو،**إيميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد**،تر:نظمي لوقا، تقديم:احمد زكي محمد،(ط1؛ القاهرة:البركة العربية للطباعة والنشر)،ص40.

[2]ستيفن ديلو،**المجتمع المدني بين التفكير السياسي والنظرية السياسية**،تر:ربيع وهبة،مراجعة:علاء أبو زيد،(دط؛القاهرة:دم ن ود س ن)،ص222

[3]جان جاك روسو،**أصل التفوت بين الناس**،تر:عادل زعيتر،(ط1؛القاهرة:العالم العربي،2011)،ص33.

[4]جان جاك روسو،**إميل**، المصدر السابق ،ص24.

يدل هذا أن الحالة الطبيعية عند" روسو" كانت حالة سلام دائم ونعيم، بحيث كان الناس متساوين في الحقوق والواجبات، بحكم الطبيعة لا فوارق بينهم ولا عداوة وإعتبر أن كل ما يأتى من عند الخالق صالح ونافع.

فالطابع العام للإنسان، أنه خير وسعيد، إذ أنه يعيش في حضن الطبيعة الخيرة تلك الطبيعة الصالحة فالإنسان أخ لأخيه الإنسان، فمن غير الممكن أن يكون حاملا لشرور أخيه حيث أنه في تلك البيئة الطيبة يجهل معنى الشر .

وعليه "روسو" لم ينقص في تقديسه لحالة الطبيعية في وصفها كأنها جنة السلام حيث إعتبرها كل شئ، فقد أعطاها طابع مثالي، وحالة لا نقيض لها . لكن هناك من الفلاسفة من سبقو"روسو" في حديثهم عن الحالة الطبيعية، حيث كانت أرائهم مخالفة تماما لأفكار "روسو" حيث يرون العكس في تصور الخير في الطبيعة الأولى، وإعتبارها محل شرور وفوضى، لعلى أبرز هؤلاء نجد الفيلسوف "توماس هوبز" وهوأحد المنظرين الأوائل لنظرية العقد الاجتماعي ،حيث يرى أن الإنسان في الحالة الطبيعية يعيش حالة حرب وصراع، وأن الحياة الطبيعية كانت مليئة بالشرور والفساد .

هذا ما يظهر في كتاب "أصل التفاوت بين الناس ." أن هناك نوعين لتفاوت البشري فالأول هوبمحض إختيار الطبيعة ويقوم على الإختلاف من ناحية الأعمال والقوى والبدن وصفات النفس، أما الثاني فهو تفاوت فكري أدبي أوسياسي، حيث يمتاز هذا النوع بنوع من الإمتيازات والأغلبية يكون أثرياء".[1]

ربما هذه الفوارق جعلت من الإنسان يحمل في طياته الغيرة لأخيه وهذا ما بث الكراهية بينهم لعدم إنصاف البعض لحقوقهم، ولحريتهم، مما سيؤدي إلى نشوء حرب بينهم، هذا ما يتوافق في الحالة الطبيعية عند "هوبز" أن الإنسان ذئب لأخية الإنسان .

فتصور "هوبز" للحالة الطبيعية كان مبني على أساس تحليله، وتشريحه للظاهرة البشرية، وإعتبارها العنصر الفعال في تصوره للسياسة: إذ يرى بأن الإنسان خاضع لإعتبارات ذاتية

[1]جان جاك روسو،**أصل التفاوت بين الناس**،المصدر السابق،ص29

ونفسية، وهذه الأخيرة ساهم في تحديد سلوكه الفردي والإجتماعي . فالإنسان حسب "هوبز" يميل بالفطرة إلى حب الذات، وكل ما يزيد في مجدها وثرائها، وينفر عن كل ما ينتج عنه ألم، وبالتالي فثنائية الحب، والنفور هي التي تحدد سلوك الأفراد.

وما يمكن قوله هنا، أن الإنسان في وضعه الطبيعي، كان يعيش مساواة، وحرية مطلقة، سواء المساواة الفكرية أوالجسدية، ومن هذه المساواة في الفكر والجسد تنشأ المساواة في الآمال والطموح، مما يولد فيما بعد صراع بين الأفراد في تحقيق تلك الأمال.

إضافة إلى ما سبق، تصور "هوبز" أن الحالة الطبيعية هي حالة حرب الكل ضد الكل أوالحالة التي يكون فيها الإنسان ذئب لأخيه الإنسان، بمعنى أن الإنسان في وضعه الطبيعي كان يسعى دائما إلى تحقيق رغباته وملذاته، ومصالحه الشخصية على حساب المصلحة العامة للأفراد، وهذا ناتج عن خوف الإنسان من الآخر.

"هوبز" في هذا المقام ***" إن الطبيعة جعلت البشر متساوين في ملكة الجسد والفكر، بحيث أنه وإن وجد في بعض الأحيان شخص متفوق جسديا بصورة واضحة، أويتضح بفكر أسرع من سواه، غير أن الفارق بين رجل وآخر ليس كبيرا لدرجة أن يدعم أحدهم لنفسه فائدة لا يقدر الآخر، أن يطالب بها بالقدر نفسه فبالنسبة إلى قوة الجسد، إذن الضعيف يمتلك قوة لقتل القوي، إما بحيلة سرية أوبالتحالف مع طرف آخر يتعرض لما يتعرض له من خطر" [1].***

ويقول في موضوع آخر ***"ونتيجة لإنعدام الثقة المتبادلة، ليس ثمة سبيل معقول أكثر من التحسب لكي يضمن الإنسان أمنه، أي أن يفرض سيطرته بالقوة أوبالخداع على أكبر قدر ممكن من الناس، حتى يقضي على كل قوة يمكن أن تشكل خطرا عليه، قوة كبيرة بما يكفي لجعله في موضع الخطر، وليس هذا بأكثر مما يتطلبه حفظه لذاته، وهوأمر مسموح به بوجه عام" [2]***

[1] توماس هوبز، **الليفياثان، الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة**،تر:ديانا حرب و بشرى صعب،مرجعة وتقديم: رضوان السيد، (ط1؛أبو ظبي:هيئة الثقافة والتراث،2001)،ص131.

[2] مرجع نفسه،ص133

من خلال ما سبق نجد "هوبز" بالغ في مدى الوحشية التي وصفها في الحالة الطبيعية بين الإنسان وأخيه الإنسان، حيث أنه أهمل صفة الإنسان الفطرية الطبيعة وأن الإنسان يولد ذوطبيعة خيرة ورحيمة، وانه أخلى بالطبيعة الإنسانية حيث وصف الإنسان كذئب متعطش للقوة والإفتراس، وحب التملك والسيطرة، فجرده من كل الخصال الحميدة التي تميز الإنسان عن الحيوان والتي تجعله أعلى مرتبة منه.

كما أنا هناك من إنتقد "هوبز" في ذلك أيضا كلا من" "كومبرلاند" و"بوفندرف" كون لا شيء أخوف من الإنسان في الطبيعية فهو يرتجف ويستعد للفرار دائما عند أقل صوت يقرعه أو أقل حركة يشعر بها"[1]

يعني هذا أن الإنسان في الحالة الطبيعية كان مسالما ينتابه نوع من الخوف فكل شئ في الطبيعة يخافه ويفزعه، فكيف يستنتج عنه هذا العنف والقوة وهذا الصراع كله ،وهذا الرأي ما يدعم رأي روسو حول الطبيعة على أنها حال غير متوحشة فهولا يرى أن هناك حرب في الحالة الطبيعية أن أسباب الترف المفسدة هي أثار التقدم العلوم والحضارة فهو يقول***"لا توجد حالة حرب لا في الحالة الطبيعية حيث لا يكون ثمة ملكية ثابة"***[2].

"روسو" يرد على "هوبز" على أن الطبيعة مسالمة بطبعها لا تعرف معنى الحرب، بل مسالمة تخلوا من الشرور التي تحدث عنها هوبز.

كل هذه الأراء المختلفة حول الوضع الطبيعي أخدت إتجاهات مختلفة حول فكرة نشوء الحرب، فإفتراض كل من "روسو" و"هوبز" في تفسير الطبيعية كل منها حسب نظرته لها سيحاولون فيما بعد الوصول إلى حل من أجل تحقيق مجتمع يسوده النظام والتوازن وذلك عن طريق التعاقد الإجتماعي الذي سنتطرق إليه فيما بعد.

كما أن "روسو" أعطى جانبا للتحدث عن الحقوق الطبيعية للإنسان فمنذ ولادته تمنح الطبيعة مجموعة من الحقوق طبيعية والتي لا يمكن لأحد أن يسلبها إياها، فهذه الأخيرة

---

[1]جان جاك روسو، **أصل التفاوت بين الناس**،المصدر السابق ،ص25.

[2]محمد وقيع الله أحمد،**مدخل الى الفلسفة السياسية**،(ط1؛دمشق،دارالفكر،2010)، ص179.

تعطي لجميع الناس دون إستثناء، فالطبيعة هي المسؤولة عن هذه الحقوق ومن بين الحقوق الطبيعية التي دعى لها "روسو" نجد :

الحرية:

لقد نادى روسو بضرورة الحرية فالحرية هي الصفة التي تميز الإنسان وتحفظ له إنسانيته، وهي مطلب أساسي لا مفر منه، لذلك نجدها ضمن الحقوق الأولى التي تمنحنا إياه الطبيعة بعد حق الحياة، ولأهميتها نجد أن "روسو" بدأ ديباجته في العقد الإجتماعي فيقول***"يولد الإنسان حر، ويوجد الإنسان مقيد في كل مكان وهو يظن أنه سيد الآخرين وهو يظل عبدا أكثر منهم".***[1]

بمعنى أن الإنسان يولد حرا خاليا من جميع القيود فالحرية تمنح للإنسان من قبل الطبيعة بمجرد ولادته، ولكن إذا أعطى حريته وتنازل عنها أصبح مقيد وتسلب منه إنسانيته فالحرية بمفهومها الفلسفي تعني غياب العراقيل التي تحد من الحرية بالقيام بالفعل أوعن عدمه في حين يرى "روسو" أن ***" تنازل الإنسان عن حريته يعني تنازلا عن صفة الإنسان فيه وتنزلا عن الحقوق الإنسانية"***[2]

ربط "روسو"صفة الإنسانية بالحرية فمن سلبت حريتهم سلب كيانهم وأصبحوا عبيد وفقدوا حقهم الطبيعي في الإنسانية، لأن الحرية في الإختيار هي التي تميزنا كبشر عن غيرنا.

"فالإنسان بما أنه حيوان مفكر فإن قراراته تكون نابعة عن إدراك ووعي وبما أنه يتمتع بالحرية، فإختياراته لن تكون وفق لغرائزه بل بما يمليه عليه عقلة، فليس الإدراك هوالذي يجعل الفرق النوعي بين الإنسان والحيوان بمقدار العامل الحر في الإنسان والطبيعة تقود كل حيوان، والحيوان يطيعها، والإنسان يبتلى ذات العامل ،ولكن مع علمه بأنه حر في الإدعان والمقاومة".[3]

---

[1]جان جاك روسو، **العقد الإجتماعي**،تر: عادل زعيتر،(ط2؛ مصر: الهنداوي لتعليم والثقافة ،2013) ،ص25

[2]،مصدرنفسه،ص،36

[3]جان جاك روسو،**أصل التفاوت بين الناس**،مصدر سابق،ص44.

إن الحرية هي العامل الذي يفرق بين الإنسان والحيوان، فصحيح ان كلاهما كائن مدرك إلا أن الحيوان تمليه عليه الغريزة الطبيعة فهو خاضع لها، أما الإنسان فتميزه حريته فنجده يحتكم لعقله وحر في إختيار قراراته سواءا كانت بالرفض أوبالقبول فأحكامه نابعة عن حرية شخصية، وليست تحت أي ضغط أوإجبار، لذلك جعل "روسو" الحرية ميزة إنسانية تقوده غرائزه وبالتالي فقدت إنسانيته.

المساواة:

هي ثاني الحقوق التي نادى بها "روسو" المساواة تعتبر المساواة واحد من أهم

الحقوق الطبيعية التي نادى بها "روسو"، فالإنسان في حالة الطبيعية، كان يعيش في كتف المساواة حيث لا تفرقة إجتماعية ولا دينية ولا غيرها، فلكل يتقاسم نفس الحقوق، وعليهم نفس الواجبات حيث يقول ***" إن الناس في الحالة الطبيعية سواسية "*** [1]

أي أن الناس متساوون من حيث الحقوق والواجبات، لكن هل معنى المساواة أن الناس على قدر واحد من الغنى وعلى قدر واحد من الفقر؟.،فيجيب"روسو" ***""أما المساواة فلا ينبغي أن يعرف بهذه الكلمة كون درجات السلطة والغنى واحدة لدى الجميع على الإطلاق، وإنما السلطة كونها دون طغيان وفي كونها لا تمارس إلا من حيث المرتبة والقوانين، وإنما الغنى في عدم وجود مواطنين يكون من البشر وما يشترى معه آخر، وفي عدم وجود أحد يكون من يضطر معه إلى البيع"*** [2]

يقصد "روسو"هنا أن معنى المساواة ليس المساواة في الثراء وأن يصبح الناس متساوين في الغنى بل نجده ينادي إلى الإعتدال في الأموال، فلا يصل الغنى إلى منتهى الترف والثراء الفاحش، ولا يصل الفقر إلى منتهى الفقر المدقع والعوز، فيصل به إلى أن يدل نفسه، فيبيع نفسه وحريته، ويصبح عبده والغني سيدا فيسيطر عليه البخل والطغيان .

[1]جان جاك روسو ،**إميل**،المصدر السابق،ص31.
[2]جان جاك روسو، **العقد الإجتماعي**،المصدر السابق،ص94.

فالمساواة التي نادى بها "روسو" لا تعني عند وجود فواراق بين الناس، بل تعني تنظيم توزيع الثروات حيث يتساوى الفقير والغني من حيث المستوى، فمن أراد أن يعيش في دولة سعيدة لا بد أن يوفر شرطين وهما الحرية والمساواة، فروسوربط بينهما إعتبرهما مثالا لقيام بالدولة عادلة.

"فالحرية لأنها تبعية خاصة تعني القوة التي أخذت من هيئة الدولة بمقدراها والمساواة ،لأن الحرية لا يمكن أن تكون من غيرها" [1]

وعليه فالحرية والمساواة هما وجهان لعملة واحد لنهوض بدولة ديمقراطية وبمجتمع قوي يسوده الإحترام، والإستقرار بين موطينين، وفق لحقين أساسيين، هما الحرية، والمساواة اللذان يحفظان العلاقة الجماعية المشتركة بين أفراد المجتمع.

[1]جان جاك روسو **العقد الاجتماعي**، المصدر السابق، ص94.

المبحث الثاني : آليات الإنتقال من السلم إلى الحرب

بعد قراءتنا للحالة الطبيعية وفهمنا للإنسان الطبيعي، من خلال تعرضنا لمختلف الآراء حول ما كان يعيشه الإنسان الطبيعي، وكيف كانت تصرفاته في الطبيعة ذلك كل حسب ما جاء به "روسو" وآخرون حيث ذهبت الآراء حول من إعتبرأن الحالة الطبيعية هي حالة حرب وصراع، ومن إعتبر عكس هذا وهوالفيلسوف"روسو"حيث إعتبرها حالة سلم وطيبة، فبعد مرور الإنسان الأول عبر مراحل عديدة، من أجل الوصول الى حياة سليمة ترضي الجميع، قام بعض الفلاسفة السياسية، إلى مايعرف بالعقد أوالميثاق الجماعي، من أجل تحقيق السلم والنظام بين الأفراد.

العقد الاجتماعي (Contrat Sociel) عند روسو:

العقد في مفهومه العام ***"العقد هواإتفاق يلتزم بمقتضاه، شخص أوعدة أشخاص تجاه شخص، أوعدة أشخاص بتقديم شئ ما، بالقيام أوعدم القيام بشئ ما"***، ويعرفه لالاند أيضا، في الفلسفة بنحوأخص ***"يقال على عقد على ما يكون ثنائي الطرف أومتعدد الطرف، أي ما يتضمن إلتزامات أوتعهدات متبادلة.***[1]

فالعقد هوكل ما يجمع من علاقة بين إثنين، سواء إن كانت عقد شراكة ،أوعقد جواز، أوعقد بيع، أوشراء ،أي هوحد الأوسط الذي يجمع بين طرفين بغض النظر إن كان أحد الطرفين فرد أوأكثر من فرد.

[1]أندريه لالاند، **موسوعة الفلسفية**، تعريب،خليل أحمد خليل،إشراف،أحمد عويدات، (ط2؛بيروت: منشورات عيويدات،2001)، المجلد الأول، ،ص224.

أما العقد الإجتماعي حسب روسو فهو***" ميثاق يضع كل واحد منا شخصه قدرته موضع إشتراك تحت الإمرة العليا التي للإرادة العامة ونحن نتقبل كجسم واحد كل عضو كجزء لا يتجزأ من الكل".***[1]

يعني هنا أن" روسو" يرى العقد الإجتماعي هوالشراكة التي يضعها الفرد أومجموعة من الأفراد تحت مصلحة الجميع وذلك تحت وصاية الإرادة العامة، والتي تلزم بضرورة الفرد التخلي عن مصالحة الشخصية لصالح اللإرادة العامة .

كل هذه التعاريف تصب في معنى واحد وهوإقامة عقد جماعي ينصرعلى تنظيم العلاقات الجماعية داخل المجتمع، وبين الأفراد وذلك عن طريق التعاقد وفق شروط معينة، ذلك حسب ما جاء به روسوفي ضبطه لمفهوم العقد الإجتماعي حيث يعتر من الفلاسفة الذين كانوا لهم البصمة الرفيعة في تحديد مفهوم العقد الإجتماعي.

إلا أن "هوبز" إعتبر أن علاقة العقد هي ليس بين الموطنين، بل هي مابين المواطنين وفرد واحد هوالملك، كما لوأن المواطنين والملك في كفة، فهويمثل المجموع والمواطنين يربطون شخصهم بفرد واحد، وهنا يبين "هوبز" عدم الفرق بين المجتمع والدولة هما كيان واحد.[2]

يعني أن "هوبز" أعطى تصور لعلاقة الفرد مع الملك أنه لم يبدي طبيعة العلاقة أوالميثاق فيما بينهم، فقد أعطى كافة الصلاحية للفرد الواحد، وهومن له الحق في التملك والسيطرة، وذلك في تحقيق متطلبات الجماعة دون أخذ الرأي العام، فهنا يوجد نوع من تحيز نحوى الفردانية، وتملك وهذا ما يوضح عدم إعطاء الأفراد لحقهم في العقد المشترك.

---

[1]جان جاك روسو،**العقد الاجتماعي أو مبادئ حقوق الإنسان**،تر:عبد العزيز لبيب،(ط1؛بيروت:2011)ص94.

[2]صلاح علي نيوف،**مدخل إلى الفكر السياسي الغربي**،(دط؛الأكاديمية العربية في دينيمارك :كلية القانون والعلوم الساسية) ج1 ،ص78.

أما "روسو" كما ذكرنا سابق في مفهومه للعقد الإجتماعي فهو مغاير لما جاء به "هوبز" فالعقد عنده **"هو مثاق يضعه كل واحد منا شخصه وجميع ما يملكه شركة تحت الإرادة العامة ".**[1]

يعني هذا أن كل فرد يجعل نفسه خاضعا تحت إمرة الجماعة، وأن الجماعة خاضعة تحت إمرة الحاكم، والحاكم مأمور من قبل الجماعة، وهذا ما يطلق على الشراكة وفق الإرادة العامة لأجل مصلحة الجميع .

لكن ما جاء ظن "روسو" حول المجتمع المدني هوعندما أخلى الفرد بموجب العقد وخرج عن طوع الجماعة، ولما قال هذا لي أوملكي وأصبحت الملكية الخاصة رمزا وأصبح جمع الثروة الهدف الأساسي على الإطلاق.[2]

فالثروة أصبحت هيا الأساس والمحرك الأول في الحياة المدنية، حيث أصبح الكل منشغل بجمع القدر الأكبر من المال، كل هذه الأطماع جعلت من المجتمع المدني أكثر فسادا مما سيجعل "روسو" يحاول مجابهة كل شئ يصدر من الحالة المدنية من فساد للأنظمة.[3]

كل هذه التغيرات التي طرأت على المجتمع سيفسد الميثاق الجماعي مصدقيته بعد أن أصبح الكل يفكر في مصلحته على مصلحة الجماعة والإرادة العامة أصبحت إرادة خاصة لدى البعض.

فالمشكلة الرئيسية للحياة الجديدة عند "روسو" حين أصبح المجتمع فاسد بسبب الإهتمام بالتسابق نحوى الثراء الجشع، وأيضا تطور العلمي والتكنولوجي، مما جعلهم يفقدون أساس العدل والفضيلة والأخلاق، حيث أنه أراد مجتمع مثالي سعيد وفق متطلبات الجماعة .

فقد فرق "روسو" بين الحالة الطبيعية التي إعتبرها أن محل سلم وأمان، وأن الأفراد كان يهتمون ببعضهم البعض بوازع الطبيعة والأخلاق من أجل المصلحة العامة، ولكن

[1] جان جاك روسو، **العقد الإجتماعي**،المصدر السابق.ص38.
[2] المصدر نفسه،ص28.
[3] ستيفن ديلو ،**المجتمع المدنى بين التفكير السياسى والنظرية السياسية**، مرجع سابق،ص228.

سرعان ما دمر المجتمع المدني هذه الطيبة داخل الأفراد، فيصعب استعادة الإحترام للعقد الاجتماعي من جديد.[1]

وعليه كانت أفكار روسو المثالية التي رسمها للعقد الاجتماعي، التي كانت تطمح لتحقيق المدينة الفاضلة، إلا أنها لم تستطع تحقيق السعادة المشتركة ،ف" روسو" هنا نسي الجانب الغريزي الخاص بكل فرد وهوحب الذات أو الأنانية التي يحملها كل شخص في جوهره، ولكنها تختلف من شخص لآخر، فأصبح الكل يفكر بنفسه عن الأخر، ويميز نفسه عنهم، وذلك بعدم تحقيق المساواة فيما بينهم كل هذا سيؤدي إلى صراعات فيما بينهم حول تحقيق أكبر الطموحات الخاصة بكل شخص.

[1]ستيفن ديلوا، **المجتمع المدني**،مرجع سابق،ص239.

المبحث الثالث: الصراع السياسي عند "روسو"

يتمثل الصراع السياسي عند "روسو" في الحالة المدنية حيث أن أفكاره جاءت معارضة لما أتى به "هوبز" و"لوك"، حسب تصورهم لحالة التمدن، فهما ينظران إليها على أنها حالة من التحرر الفكري والعقلاني والعقائدي، وأنها مرحلة أكثر تحضرا وتطورا من الحالة الطبيعية، حيث أنها الخلاص من الحالة البدائية إلى حياة التمدن، لكن "جان جاك روسو" رأيه مخالف لهم حيث ***" رأى أن هذا الاتجاه قد أفسد على الناس آمالهم، وتعويلهم على الفضيلة المدينية، وأن ما أسفر عنه التنوير، أنه جعل السعي وراء الثورة والترف أكثر أهمية من إحترام من تلك الفضائل التي ممن شأنها تأمين الصالح العام للمجتمع ككل".*** [1]

هنا روسو يوضح أن المدينة فقدت فضيلتها، وذلك من خلال إنتشار الشرور والفساد الأخلاقي في حالة التمدن، وذلك راجع لإهتمام الفرد بالتملك والتسابق نحوى الثراء، حيث أصبح يفكر بنفسه، بل "روسو" يريد مجتمع مدني تكون فيه الفضائل، ويتمتع بالأخلاق بين الأفراد حيث يكون الفرد يعمل من أجل الإرادة العامة أو تحقيق المصلحة العامة للدولة.

فنظر روسو على أن مختلف الشرور والفساد المدني سببه التقدم والتطور في العلوم والفنون حيث يرى أن التقدم في المعرفة زادا من الترف والراحة المادية قد أسفرت أيضا على فناء الصحة الأخلاقية.[2]

هنا اعتبر روسو أن التطور العلمي والثقافي سبب في فساد الأخلاق فبدلا من تحقيق المنفعة العامة لصالح مدينة فاضلة أصبح الكل، يهتم لصالح الخاص، فكل من "لوك" و"هوبز" يروأن الحالة المدنية هي وضع الأولوية المصلحة الخاصة والملكية الخاصة على احترام المنفعة العامة، فبدلا من أن يكون المجتمع متمثل في تحقيق الإلزام بتأمين الحرية،

[1] ستيفن ديلوا، **المجتمع المدني**،مرجع السابق ،ص ص218،219.
[2] مرجع نفسه،ص119.

والحقوق المتساوية، فإنه في الواقع يروج لمجتمع خصوصي فكل شخص فيه يبحث عن مصلحته الخاصة.[1]

ويقول "روسو" في هذا ***:" ولوكان لي إختيار محل ولادتي لأخترت مجتمعا بالغا من الإتساع ما يحد معه بمدى الخصائص البشرية، أي بإمكان حسن الحكومة، حيث كل واحد مساولعمله، فلا يلزم أحد بأن يفوض إلى الأخرين بوظائف كان قد عهد إليها فيها، وغن الدولة بتعارف جميع الناس فيها لا يمكن مكايد الرذيلة الخفية ولا إتضاع الفضيلة أن يغيبا عن أنظار الجمهورية"[2].***

"روسو" إعتبر أن المجتمع المدني ما هوإلا مكان يهتم فيه كل شخص بمصلحته الشخصية، ولعل هذا راجع لأن روسو دونزعة طبيعية حيث إعتبر الحالة الطبيعية هي الأسمى والأنقى من المجتمع المدني لدى "هوبز" و"لوك"، حيث طالب بضرورة العودة إلى الحالة الطبيعية لكي يستطيع الإنسان أن يعود إلى حالته الأولى التي كان فيها الفرد حرا طليقا يتمتع بالمساواة والعادلة وذلك قبل ظهور العقل المفكر المحب للتملك والسلطة.

فقد ثار "روسو" على العلوم وهاجم العقل وأعتبره بؤرة الفساد، كما أنه وضع ضد الذكاء ونمو المعرفة وتقدم العلوم مشاعر ودودة، وخيرية تتمثل في الإرادة الطبيعية ويمتاز بها إلا الرجل البسيط الغير مثقف النقي، على عكس ذلك يعتبر أن الرجل المفكر هو حيوان فاسق، وأن كل ميزاته المعرفية تهاجم القيمة الأخلاقية .[3]

يعني هذا أن الرجل الطبيعي في حالة الطبيعية لا يحمل في طياته صفات الرذيلة التي يحملها الرجل المثقف العالم، هنا تظهر النزعة الطبيعية بوضوح عند "روسو "أنه دنى من قيمة الإنسان العالم والعقال المثقف الذي يحمل في علمه خيا طبعا ليس كل من يعلم متوحش وفاسد، فالطبيب ينتفع بعلمه لشفاء مرضاه، وليس كل من يجهل فاضل، ربما هنا لم يسوي الكيل لدى "روسو "نوعا ما، وذلك في ذمه الشديد لي ذوي العقول الفاضلة.

---

[1]ستيفن ديلوا، **المجمع المدني**،مرجع سابق،ص220.
[2]جان جاك روسو، **أصل التفاوت بين الناس**،المصدر السابق ،ص16.
[3]جورج سباين،**تطور الفكر السياسي** ،مرجع سابق،ص57.

بالإضافة إلى ذلك اعتبر الذكاء خطرا، الذي نراه نحن الآن من مميزات لرقي والامتياز في مجتمع والذي أصبح الأن محل الإهتمام الأكبر لزيادة تنمية الفئات الذكية التي ينتفع بيها، لكنه اعتبره ***"خطر لأنه يقوض أسس التبجيل والعلوم مخربة لأنها تسلب الإيمان، العقل فاسد لأنه يضع الحصافة ضد الحدس الأخلاقي ولا يكون هنا خلق ولا مجتمع وكان هذا تعليقا لم تستطع حركة الاستنارة أن تفهمه بسهولة ".***[1]

يعني هذا أن" روسو" اهتم بالجانب الأخلاقي فوق كل تلك العلوم واعتبرها عديمة من كل ما هو خلقي إذ أنها تجعل من المجتمع مسلوب لروح أخلاقية، وكأنه يريد أن يعيد الأخلاق التي تركت في المجتمع الطبيعي الى المجتمع المدني من أجل استرجاع الفضيلة العامة.

"فبدا له أن العلوم والفنون، إذ ازدهرت، بدون ضابط صارت أكثر مما هي نافعة، وأن تفضيل المعرفة على السعادة غني وغرور وأن الاعتماد على منفعة الفرد لتحقيق الصالح العام خطأ واضح"[2]

كما انه من أسباب الصراع هو تلك الفروقات والتفاوت وعدم المساواة في المجتمع المدني حيث الغني يحصل على الحد الأكبر من الامتيازات تجعله أكثر غنى والفقير الذي يعمل ويجهد يسلب حقه ويزاد فقرا، كل هذا أدى إلى صراعات أهلية لعدم الإنصاف في توزيع الثروات فيما بينهم ***" فالمجتمع الذي تهيمن عليه العلوم والفنون هو مجتمع مملوء بالتفاوت وعدم المساواة لأن المواهب المطلوبة يجب أن يسعى إليها، تصبح أساس التمييز الناس".***[3]

تلك الفروقات هي السبب الأول والوحيد لخلق الصراعات حيث يصبح من يملك مال يحتقر الفقير الذي ينظر للمال على أنه تعب شقائه، فتصبح الحقوق منعدمة مما سيبث

---

[1]جورج سباين،**تطور الفكرالسياسي**،المرجع السابق ،ص58.

[2]جان جاك روسو، **دين الفطرة أو عقيدة القس من جبل السافوا**، نقل للعربية: عبد الله عروي، (ط1؛ المغرب: مركز الثقافي العربي، 2012)،ص8

[3]ليوتشراوس جوزيف كروسى،**تاريخ الفلسفة السياسية من لوك إلى هيدغر**،تر:محمود سيد أحمد،مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام،(ط1؛القاهرة،المجلس الأعلى للثقافة،2005)ج2،ص139.

الكراهية وصراعات فيما بينهم لعدم المساواة، وعليه" روسو" سيهتدي بعد كل هذا الى الوصول الى حل من اجل الخلاص من هذه الشوائب والصراعات وذلك من خلا إقامة عقد جماعي ينصوا على مبدأ الإرادة العامة لصالح الجميع، من خلال إعادة النظر في الرجوع غلى الحالة الطبيعية، وذلك بالعودة الى كيفية القيام بتربية صحيحة لها ضوابط هبر إنشاء رجل صالح لتخلص من كل صراعات فبصلاح الأفراد تصلح المجتمعات.

الفصل الثالث: التربية في فكر روسو السياسي

المبحث الأول: مفهوم التربية ومراحلها عند روسو

المبحث الثاني: أقسام التربية عند روسو

المبحث الثالث:علاقة الحرب بالتربية عند روسو

المبحث الأول: مفهوم التربية ومراحلها عند "روسو"

يعرفها معجم صليبا "التربية" هي تبليغ الشيء إلى كماله، أو هي كما يقول المحدثون تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا، نقول ربين الولد إذ قويت ملكاته، ونميت قدراته، وهذبت سلوكه، حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة، ومن شروط التربية الصحيحة، أن تنمي شخصية الطفل من الناحية الجسمية، والعقلية، والخلقية حتى يصبح قادرا على مؤلفة الطبيعة، يجاوز ذاته ويعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس"[1].

يعني هذا أن التربية هي عمل يبدأ بالتدرج شيئا فشيئا حتى يصل المدرب بالطفل إلى الهدف المراد بلوغه، والتربية تتضمن تقوية ملكات الطفل العقلية وتطويرها وتنمية قدراته وصقل وتهذيب سلوكه مع نفسه، ومع الآخرين فالتربية لا تقتصر على جانب واحد بل هي تضم جميع نواحي شخصية الطفل فهي تهذب جانبه النفسي وتقوي، وتنمي جانبه السلوكي، وتربي جانبه الخلقي كي ينشأ الطفل متوازن من جميع النواحي فالتربية التي تقتصر على جانب دون سواه تكون قد أخلت بشروط التربية الصحيحة، وتصبح تربية ناقصة غير متكاملة.

ويعرفها **"لالاند"** ويقر بأن التربية معنيين:

المعنى العام: هو عملية تقوم على تطوير وظيفة التربية أو عدة وظائف تطويرا تدريجيا عن طريق التدريب والتمرين ويمكن أن تنشأ من عمل الآخرين أو من عمل الكائن ذاته التي يكتسبها.

المعنى الخاص: فالتربية هي سلسلة عملية إجرائية يدرب بها الراشدون (الأهل عموما) الصغار من جنسهم ويشجعون لديهم نمو بعض النزعات وبعض العادات عندما تستعمل الكلمة بمفردها، تقال في الأغلب على تربية الأطفال من الجنس البشري[2].

---

[1] جميل صليبا ،**المعجم الفلسفي**،(دط؛ لبنان:دار: مكتبة المدرسة،1982)ج1،ص266.

[2] أندريه لالاند،**موسوعة لالاند الفلسفية**،تعريب:خليل أحمد خليل،(ط2؛ بيروت :منشورات عويدات،2001)مجلدالأول، ص، ص223،222.

يتبين لنا أنا "لا لاند" في المعنى الخاص عنده لتربية، قد خص التربية الأهل باعتبارهم من يرعون الطفل في سنواته الأولى، والتربية تكون خاصة بنفس الجنس، فيقوم بتعليم الأطفال سلسلة من السلوكيات التي تنمي بدورها نزعاتهم الاجتماعية والأسرية وغيرها.

كما أن التربية لها دور كبير في كسب الطفل عادات حميدة، فالتربية هي مجموع سلوكيات، إذ أنها لقنت للطفل في سن معينة، ومع تكرار، والتعود عليها وأصبحت لديه عادات جديدة، فللاند" هنا يضيف دور التربية في نمو نزعات الطفل التي توجد في داخله، والأهل مسؤولون على تنميتها وتطورها كما لها دور في كسب عادات يتحلى بيها الطفل.

التربية الطبيعية عند جون جاك "روسو"

يرى "روسو" "أن التربية الصحيحة هي التربية الطبيعية حيث يتربى الطفل في حضن الطبيعة دون قيود أو روابط بينما يكون حرا طليقا".

لقد حاول "روسو" إعطاء معنى ومفهوم جديد لتربية مخالفا لما كان سائدا في عصره من سوء التربية، التي قيدت الطفل وتفكيره وجعلته مجرد مستقبل للمعلومات وجمدت تفكيره، وتأمله وأهملت جانبه العاطفي، فلقد كانت منصب على العقل وأهملت الجوانب الأخرى، التي لها دور كبير في نمو الطفل وتعليمه، لذلك نجده يسميها بالتربية السلبية.

فالطفل لم يعد غاية في حد ذاته بل أصبح وسيلة لغايات وأهداف أخرى، وعلى إثر هذا كله حاول روسو أن يقيم تربية جديدة قائمة على منهج مغاير، لما كانت عليه التربية من قبل، حيث يكون أساسها الوحيد يرتكز على الطفل في المركز الأول، لذلك نادى بالعودة إلى الطبيعة الأولى، وأن التربية الحقة والصحيحة هي التربية الطبيعية، التي أسسها "روسو"، لحرية الطفل وخلوه من أي قيود وضغوطات لكي ينشأ بأحسن صورة.

ودون تدخل أي أحد، لذلك يقول ***"كل شئ يخرج من يد الخالق صالحا وكل شئ يخرج من أيد البشر يلحقه الاضمحلال"***[1].

ننظر هنا أن الإنسان عند ولادته يكون على سجيته، وطبيعته الفطرية ولكن ما إن تتدخل يد الإنسان في تربيته وتكوينه، حتى تذهب عنه تلك الطبيعة والسجية وتتحول لشئ آخر، وهذا ما يتبين لنا أن لتربية الطبيعية دور مهم في تنمية وإبقاء البشر على طبيعة، وسجيتهم الفطرية.

كما أن "روسو" شبه الطفل وتربيته بالنبتات ونموها، بالأم التي تقوم بترتيب طفلها وتعليمه فينموا ويكبر، وكذلك الحال لنبات **"إنما يتشكل النبات بالزراعة، ويتشكل البشر بالتربية "**[2].

فالتربية هي التي تكون الطفل وتنشأ وهنا يبرز "روسو" دور الأم وخاصة في سنوات الحديثة من الولادة لأنها سنوات حرجة تكون الأم فيها الملقنة والمرشدة الأساسية لسلوك الطفل.

ولكي ينشأ الطفل تربية صحيحة وطبيعية يمر بمجموعة مراحل لنموه:

المرحلة الأولى من 0_05 سنوات: وهي سنوات الطفل الأولى والتي ستكون لها تأثير كبير على مستقبله لاحقا، وفي هذه السنوات يحدد "روسو" مجموعة من السلوكيات الخاطئة والتي هي متوارثة ويبين مسارها على الطفل.

"الإنسان المتمدن يولد ويعيش ويموت في رق العبودية، حين يوثقونه بقماطه، وحين يموت يسمرون عليه بالتابوت"[3].

يعني أن الإنسان يولد حرا في طبيعة، ولكن شروط المدينة تأبى تلك الحرية فتحاول تقيده، وذلك من خلال لفه بالقماط حين مولده، وحين مامته لذلك، نجد أن "روسو" رافض لفكرة أن يقمط الأطفال الحديثي الولادة، فالأطفال يولدون من أجل تحرر من داخل الرحم

[1] جان جاك روسو، **إميل**، المصدر السابق، ص24.
[2] المصدر نفسه، ص25.
[3] المصدر نفسه، ص24.

إلى حين خروجه لنور، يتفاجأ بالقماط المقيد لأطرافه، إعتبر أن تلك الفكرة ماهي سوى تقييد للطفل، وكبح لحرياته، وأن كل إعتقاد أن الطفل الذي يقمط ينشأ طفل سليم القوام، وذو بنية منسجمة هو إعتقاد باطل ومجرد إعتقادات قامت القبلات بحشو رؤوس الناس بها.

فأصبحت عادة مترسخة في المجتمع غير أن "روسو" يرى أن هذا منافيا لطبيعة فالطفل ولد حرا ويبقى حرا في جميع تصرفاته ***" أن الطفل حين يولد يكون بحاجة الى مد أطرافه وتحريكها، كي يطرح عنه ما ركبه من الانقباض التجمع الطويل في أحشا ء أمه"*** [1].

يعني أن الطفل هو أصلا كان مقيد في بطن أمه، وعند خروجه لنور الطبيعة يحتاج إلى تحريك أطرافه لكي يتحرك الدم في جميع جسمه، بعدما كان يعاني الطفل من الانقباض في رحم أمه، وعندما نقوم نحن بتمقيطه كأننا نعيد تشكيله من جديد، باعتقاد أنه سيؤدي نفسه أو أنه لن ينشأ في صورة سليمة، ويرى أن الدول التي ينشأ أولادها دون فكرة القماط يكون أطفالها أصحاء وأقوياء البنية ،عكس الأطفال الذين يقيدون بالأقمطة فأنهم ينمون في عروج، وذكر «روسو " أن بكاء الأطفال مجرد ردة فعل لما يعانيه من قيود وتكبيل.

هنا " روسو " بالغ في فكرته ورفضه للقماط فهو ليس بتلك درجة من السوء التي وصفها به «روسو"، فكثيرون الحالات يكون القماط سبب في إنقاذ الأطفال وخاصة أولئك الأطفال الذين يتعرضون أثناء الولادة إلى حلات بتر في المفاصل حين إخراجه من بطن أمه بطريقة غير صحيحة، فتأدي إحدى أطرافه فيكون القماط هو الحل على إعادة تثبيت قوامه عكس ما أدلى به "روسو" رأيه للقماط ، زد إلى ذلك أنه يساعد على جعل الأطفال ينمون بشكل مريح كما لو كانوا في بطون أمهاتهم.

ينتقل "روسو" إلى ***"دور الأمهات وكيف أنهن يتخلين عن واجبهن الطبيعي في عدم إرضاع أطفالهم، ويكفلونهم لدى المرضعات المستأجرات ليقمن بإرضاع أطفالهم بدلا***

[1] جان جاك روسو، **إميل**، المصدر السابق،ص ص28،29.

من أمهاتهم، فهن غالبا يتخلين عن واجبهن الأساسي وهو إرضاع أطفالهن بأنفسهن وواجبهن في الإرضاع ليس موضوع شك" [1].

فدور الأم هو إرضاع طفلها، كي تبني تلك الرابطة الأموية بين الأم والطفل لكي تشعر به وتعطف عليه، وتعطيه حنانها فتتكون تلك المحبة الفطرية الطبيعية بينهما كل هذا يحدث عندما ترضعه لبنها، عكس من تقوم المرضعة بإرضاعه فهي لا تحنو عليه ولا تحبه، وحتى لو أحبته يكون ذلك بعد فوات الأوان، وتنقطع الصلة بين الأم والطفل، فالطفل سوف يحب مرضعته، وينسى دور أمه لأنها لم تقم هيا بواجبها الطبيعي، وسيفسد هذا من فطرته التي جبل عليها من الطبيعة ولذلك يقول "روسو" ***"وينحرم عن هذا الحرمان من لبن الأم الأصلي فحرمان طفلها من لبنها هو أصل ومنبع الشرور"*** [2]

يعني أن جميع الشرور التي تحدث مع الطفل، هو عندما تتخلى الأم عن واجبها الأول التي منحتها لها الطبيعة، وهو إرضاع أطفالهن وتعهد بهن لغيرهن، صحيح أن هناك دور كبير لحليب الأم في تقوية الطفل، ونموه وتعزيز تلك الرابطة بينهما إلا أن هذا لا يعني أنه بمجرد انقطاع لبن الأم عن الطفل بثت شرور فيه فالمعروف قديما كانت النسوة تعطي أبناهن لمرضعات من البادية حيث ينشأ بالصحة وبالقوة ويعود الطفل بعد ذلك لأمه، ولا يوجد عيب في ذلك.

كما أن هناك أمهات لا يستطعن أن يرضعن أطفالهم، وذلك بسبب مرض أو نقص في إنتاج للحليب لديها فيتحتم عليهنّ تسليمهم للمرضعات.

لا ننكر أن لأهمية إرضاع الأم لابنها منافع كبيرة، لكن عدم وجوده ليس أيضا بذلك السوء، فالمهم هو الحب الذي سوف تمنحه الأم لابنها في مراحل نموه.

---

[1] جان جاك روسو ،**إميل** ، المصدر السابق،ص36.
[2] المصدر نفسه،ص37.

كما يرفض "روسو" ***"مغلات الأمهات في حب أطفالهن وذلك بدلالهم الزائد والترف والشفقة المفرطة عيه فتجدها بهده الطريقة تحرمه من الطبيعة ونواميسها لتجنبه الألم وينتج عن ذلك الدلال طفل ضعيف ،حيث يضل ضعيف وليس لديه قوة لمجابهة الحياة"*** [1].

كل هذه السلوكيات هي عكس الطبيعة وقوانينها التي تفرض الإنسان عليه لينشأ قويا وصلبا، وأن خلافها الإنسان كان ضعيف لا يستطيع مواجهة الحياة أمام الطبيعة فتبين لنا الطريقة السليمة التي نتحصل من خلالها على أطفال سالمين.

" راقبوا الطبيعة، وأنظروا كيف يتبين لكم السبيل، فإنها تعمل على تمرين الأطفال بالأحداث، والأشياء وتعلمهم منذ البداية، كيف يكون الألم، فلأسنان لا تنبت إلا بالحمى والسعال الطويل يكاد يخنقهم ...والديدان تعذبهم والخمائر الطفيلية تقسوا عليهم، وتعرضهم للكثير من الأخطار، ويكاد يكون مهد الطفولة الأولى مرضا وخطرا متصلين، ونصف الأطفال الذين يولدون يهلكون قبل السنة الأولى، ولكن متى مرت المحنة يكون الطفل فاكتسب مناعته" [2].

يعني أن الطريق الصحية لتربية الطفل تربية سليمة، لابد أن نتبع الطريقة التي مهدته الطبيعة، والتي كانت محفوفة بالألم، والمخاطر من حمى وسعال، ومرض كل هذا يصيب الأطفال الرضع لاحول لهم، ولا قوة، ونتركهم حتى يتخطون الألم لوحدهم حتى يتجاوزه.

فصحيح أن الكثير يلقون حذفهم من كل هذا إلى أن من يبقون على قيد الحياة يكتسبون مناعة من تلك الأمراض، وقوة البدنية جيدة فالطبيعة انتهجت منهج التجربة، فيجب أن يجربوا الألم ويعيشوه لكي يحصلوا على المناعة.

[1] جان جاك روسو، **إيميل** ، المصدر السابق،ص38.
[2] المصدر نفسه،ص،ص39،38.

المرحلة الثانية 5_12: وهي مرحلة انتهاء الطفولة وبداية الانتقال إلى مرحلة جديدة تتميز بالمحسوسية والتجريبية: تنتهي هذه الفترة حسب "روسو" متى تعلم الطفل الكلام والمشي وطريقة الأكل[1].

بمجرد أن يصبح الطفل قادر على الكلام والتواصل، لكي يعبر عما بداخله في عوض البكاء، الذي كان هو وسيلته لتعبير في مرحلة طفولته عند شعوره بالجوع أو الألم، فتلك المرحلة انتهت، وأصبح لابد من تعليمه أشياء جديدة، بالإضافة إلى تمكنه من المشي وقدرته على الأكل بمفرده، فهذه كلها تعتبر البدايات الأولى لاعتماد على نفسه في أبسط الأمور.

ففي هذه المرحلة سيتعلم الطفل حسب "روسو" سلوكيات من نوع أخر، هو الألم فلا نفع من طفل دون أن يسقط، أو يجرح، أو يكسر هذه صفات الألم التي يجب أن يتعرض لها الطفل ويجب على الأباء أو المربي ألا يبدوا خوفهم الزائد على أطفالهم فهذا سيجعل منهم ضعفاء غير قادرين على التحمل، لأن ***" العذاب هو أول شيء يجب أن يتعلمه، بل أنه أحوج ما يحتاج الى المعرفة "***[2].

هنا يشير "روسو" إلى نوع من التربية، وهي التجربة المحسوسة، وأن نجعل الأطفال أحرار يجربون ويتأملون ليتعلموها، فالطفل الصغير لو لم يلمس النار ويحترق بها لما أدرك بأنها مؤدية، فالتجربة تعلم الطفل الشجاعة فيصبحون أقوياء وذلك لتعرضه للآلام.

كما أن الألم والتجربة تكسب الطفل معارف وخبرات، عكس من كان مقيد الحرية ومحمي من الألم والتجربة.

---

[1]جان جاك روسو، **إميل**، المصدر السابق،ص86.

[2]المصدر نفسه ،ص77.

" أن الطفل الذي يكبر من غير أن يتمرس بالألم يظل بلا خبرة، وبلا شجاعة بل أنه يتوهم الموت من أو وخزة ويغمى عليه عندما يرى أول قطرة تسير من دمه، وليست هذه التربية التي نتحراها" [1].

يربط "روسو" بين ثلاثة أشياء مترابطة فيما بينها، ألا وهي الألم، والخبرة والشجاعة، فالطفل الذي يكبر ويترعرع دون أي ألم، أو تجربة، ويبقى مقيد بالخوف يصبح بلا خبرة في حياة، فعندما يتعلم الطفل أي شيء ضار، وسبق له تجربتها ومعايشتها، فيستحيل أن يمحى هذا من ذاكرته، بل يترسخ في ذهنه وهذين العاملين (الألم، الخبرة) يكسبان الطفل الشجاعة فمن تحمل الألم، اكتسب الشجاعة وأصبح قويا، وهذه هي التربية الصحيحة أو ما تعرف بالتربية الطبيعية.

كما أكد "روسو" على ضرورة ترك الأطفال يأخذون وقت الكافي في اللعب والمرح وألا نثقل كاهل الطفل لا بالتعلم ولا بشيء أخر، بل نترك له الحرية الكاملة ويعيش تلك السنين الأولى والتي لا تتكرر، كما يريد هو ولقد استشهد برأي "أفلاطون" "بذلك أن أفلاطون وعلى ما فيه من صرامة، في بناء جمهوريته، لا يعطي الأطفال إلا عن طريق المهرجانات والألعاب والأغاني، والمسرات والملاهي، وكأنما غايته القصوى أن يعلمهم السعادة".[2]

بل سنوات الطفل الأولى مهمة جدا في مسيرته، فإن لم يأخذ الطفل القدر كافي من اللعب والمرح، سينشأ طفل محروم، ولن يستطيع أن يعيش هذه السعادة عندما يكبر، لذا يجب أن نترك الأطفال على طبيعتهم.

"كما رفض أن ندرس الأطفال أي شئ، ورأى أنه أكبر سخف أن ندرسهم التاريخ وحتى أن كان في متناول إدراكهم"[3] .

---

[1] جان جاك روسو، **إميل**، المصدر السابق ص78.
[2] المصدر نفسه، 115.
[3] المصدر نفسه، ص120.

يعني أن روسو رفض تدريس الأطفال في هذه المرحلة، بل سيؤجله إلى مراحل أخرى، واكتفى في هذه المرحلة بتعليم الطفل الألم واللعب والتجربة واكتشاف الطبيعة من حوله، كي يغتنم هذه الفترة الحساسة وبالإضافة نجده لم يهمل الجانب البدني لأنه يقوي الجسم.

"وهناك رياضة طبيعية ميكانيكية بحته، تجعل الجسم قويا من التي لها تأثير فيتميز من ذلك السباحة والجري وقذف الحجارة"[1].

هذه الرياضة البدنية يمارسها الأطفال في صغر لها دور مهم في تنمية بنية بدينية لطفل كي ينموا شديدا قويا، كما أن الرياضة لا تقتصر على الجانب البدني فحسب بل هناك جانب آخر يقول "روسو " هنا ***" لا تكتفوا برياضة القوة البدنية بل ينبغي علينا ان نعتني برياضة جميع الحواس التي توجه قوانا وتهدبها"[2].***

نلتمس أن "جان جاك روسو " لا يكتفي بالرياضة الجسمانية فقط بل أيضا الإهتمام بجانب الرياضي الأخير، وذلك بالاهتمام بالجانب الحسي للطفل وطريقة شعوره وتفكيره أيضا فالرياضة البدن من رياضة الحس، والفكر ودليل ذلك أنه توجد العديد من الرياضات، التي لا تستهلك جهدا بدنيا مطلقا، كرياضة اليوقى والشطرنج، هذه الأخيرة تمثل جانب حسي شعوري وأخرى جانب فكري وعليه الجسم السليم في العقل السليم.

المرحلة الثالثة 12_15 : في هذه المرحلة سيصبح طفلنا هنا بلغ أشده، حيث لابد لنا من إفساح المجال له وتعليمه أشياء جديدة، تكون متناسبة مع سنه وعلى ما تمليه عليه الطبيعة، وهنا سيحاول "روسو" أن ينتقل من المحسوس، إلى ما هو ذهني عقلي، يعني هذا أنه سينمي جانب الطفل المعرفي وقدراته العقلية بعدما كان في المرحلتين السابقتين قد ركز على اللعب والحواس، فهنا انتقل إلى مرحلة أرقى، ولكن ليس دفعة واحد بل بالتدرج .

لكن روسو رفض أن يكون في فترة التعليم هذه أي كتاب. لكن إن اختفى الكتاب على ما سيعتمد الطفل؟ فيجيب "روسو" ***" لا ينبغي أن يكون هناك كتاب لدى الفتى غير***

[1] جان جاك روسو،**إميل**،المصدر السابق،ص131.
[2] المصدر نفسه، ص132

كتاب الدنيا من حوله، ولا ينبغي أن يكون هناك تعليم أو إرشاد إلا ما تلقنه إياه الحوادث والوقائع "[1].

يعني أن الطبيعة هي التي ستكون الكتاب المفتوح الذي ينهل منه المتعلم جميع معارفه عن طريق التأمل والملاحظة وبهذا يصبح هو من يكتشف علومه بنفسه حيث أنه لا يأخذ تلقين من أحد ولا يحفظ بل الطبيعة هي من لها الحق في تعليمه.

فإذا أردت أن تعلمه الجغرافيا، أو الفلك فأذهب به إلى الطبيعة لكي يتأمل بدل من أن تجلب له مجسمات وخرائط لا فائدة منها فالطبيعة كفيلة في تعليمه كل هذا. وهنا يؤكد "روسو" على أن الطبيعة هي المعلم الأول ويرفض أن تحل مكانها الكتب أو أي معلم آخر الذي دوره التلقين الذي يجمد من دور العقل.

كما أنه سيتعلم حرفة يدوية كالنجارة أو غيرها من الحرف لكي يعرف مدى تعلمه قيمة العمل التي ستكون له منفعة لان عقله غير ناضج بل بفضل الرياضة التي مراسها.

المرحلة الرابعة 15_20 سنة: *«وتعتبر هذه المرحلة مرحلة المراهقة تبدأ من التغيرات في المزاج وفي الشكل، وفي سحنة الوجه "[2].*

يعني هذا أن سن المراهقة هي سن التغيرات الجسدية والنفسية، فالتغير في مزاجه وشكله يعني ملامح الطفولة تضمحل وتظهر ملامح الكبر والنضج والوعي، كل هذا وغيره يتبلور في هذه المرحلة.

كما يوضح "روسو" في هذه المرحلة وبعد أن أكتمل نضوج الصبي يصبح قادر على القراءة ***" فالقراءة تترك أثرها الجاسم في ذهن شاب حديث السن لم يتعود القراءة، ولكنه تعود على الإحساس والتفكير الشخصي"[3].***

---

[1] جان جاك روسو، **إميل**، المصدر السابق ص152.
[2] المصدر نفسه، ص178.
[3] جان جاك روسو، **إميل**، المصدر السابق، ص187

يعني أن القراءة حسب روسو تأتي بعد أن تعلم الصبي التأمل والتدبير والتفكير وبعدها تأتي القراءة وسيكون لها أثر كبير لأن ذهنه يكون خالي من الشوائب وصفحة بيضاء مستعد لبرمجة واستقبال المعلومات.

كما أن "إميل " الطفل في هذه المرحلة سيجرب شيء جديد لم يكن ضمن مدركاته وحواسه وهي أمور إلهية لأنه سابقا لم يكن في سن تتيح له بذلك، فروسو يرفض بأن يتعلم الأطفال الدين وهم في سن صغير ومتى وصل إلى هذه السن فلا حرج عليه ولكن لا نفرض عليه دينه بل هو من يملك القرار في اختيار***" فلن أفرض عليه عقيدة دينية معينة، بل سيعده للقدرة على اختيار العقيدة المثلى التي يهديه إليها عقله على الاقتناع والتميز"*** [1].

هنا ينادي "روسو" بحرية في اختيار الدين الذي يراه الطفل مناسبا، وأن يختاره على قناعة وتمييز، فلا يفرض عليه فالدين هو علاقة عابد بمعبود، ولا دخل لأي شيء فيها، لكن ما يعاب على "روسو" أنه أهمل القدسية الدينية، فأي ديانة سماوية تفرض نفسها على المكان التي نزلت فيه الديانة بطبيعة الحال يولد الطفل على الديانة التي وجد بها أبائه بغض النظر على الديانة فقد دنى "روسو" من قيمة الدين الإلهي المقدس، حيث جعله محل اختيارات على حسب أهواء كل من يود اختيار أي دين يحلوا له وهذا تقصير كبير بقداسة الدين.

المرحلة الخامسة والأخيرة من20_فما فوق: وهنا نجد "روسو" "يتحدث على التربية المرأة، والتي نرى أنه أجلها إلى أخر مراحل بعد أن أكمل مراحل نمو الطفل إلى أن صار رجلا متكاملا من جميع النواحي، فالمرأة في قانون الطبيعة خلقت لتروق لرجل، وبما أن إميل رجل فليس من المستحسن أن يعيش وحيدا فلا بد له من شريكة تؤنس حياته" [2].

[1] المصدر نفسه،ص191.
[2] جان جاك روسو، **إميل**،المصدر السابق ص200.

وهذه المرأة ليست أية امرأة فلا بد أن تكون مستعدة من ناحية تدبير المنزل، ومن ناحية الجمال والحكمة وغيرها، فيجب تعويدها من الصغر على تحمل الضيق والمتاعب، وكبت نزواتها كما أنهن لابد أن تكن نشطات دائبات[1]

يعني أنه في هذه المرحلة يؤكد "روسو" على تربية النساء وإنما لا يجب أن نخرجهن على ما فطرته الطبيعة عليهن، وهو خدمة والطاعة الرجل وتلبية حاجياته والعناية بالأطفال وأن تكون أم وزوجة صالحة.

وفي الأخير يتزوج ذلك الطفل الذي تتبع نمو من الرضاعة، إلى فترة الزواج بصوفيا بعد أن تربى وفوق قوانين الطبيعة، ودون تدخل أيادي البشر فأنه يصبح صالحا لديه قوة بدينية، وعقلية وذوق فني وحرفيا يقدر العمل اليدوي رجل إبن بيئة سليمة، لا تشوبه أضرار التمدن، وما خلفته الحالة المدنية من تغيرات في الأطفال وسلخ منهم برائتهم وفطرتهم، وهذه عند روسو هي التي تضمن لنا التربية الطبيعية صحيح.

[1]المصدر السابق،ص250.

المبحث الثاني: أقسام التربية عند روسو

بعدما مرورنا على مراحل التربوية لنمو الطفل، وذلك بداية من أول ظهوره للحياة إلى غاية بلوغه حتى أصبح رجل يعتمد على نفسه، أعطى "روسو" أهمية كبيرة لطفل من خلال التربية الطبيعية المثالية التي نادى بها، من خلال تحقيق وبناء طفل، ذو طبيعة طيبة وشخصية صالحة، من أجل تحقيق وبناء مجتمع صالح، وذلك عن طريق التربية الصالحة التي يتلقاها الأفراد في الطبيعة وعليه محاولة تخلص من الشرور التي كانت منتشرة من قبل لمساوئ استغلال التربوي للأطفال.

فقد أعطى "روسو" أقسام للتربية وميزها عن بعضها حيث قال **" التربية تأتينا إما من الطبيعة أو من الناس أو من الأشياء "**[1].

هكذا قسم "روسو" التربية وجعلها ثالوث تربوي للطفل من أجل إنشاءه وتكوينه فالتربية إذا هيا ثلاثة أضرب وهيا كتالي:

التربية الطبيعية:

فالتربية الطبيعية هي التي لا دخل للإنسان فيها والتي يتلقاها الطفل فوق إرادته الخاصة، بل هي من تفرض نفسها عليها، فهو يولد بفطرة تحت رعاية الطبيعية حيث يقول "روسو" ***"التربية الطبيعية هي كل شيء خارج عن إرادتنا كنمو وظائفنا وجوارحنا الداخلية"*** [2].

يتبين لنا هنا أن الطبيعة تتدخل في نمو، وبناء الجانب الفيزيولوجي فينا فالطفل عند نمو أعضائه، وأطرافه، لا دخل للإنسان فيها بل هي خاصية تمتاز بها الطبيعة لا غير.

يعني هذا أن سلطان الطبيعة على الطفل هي التربية الطبيعية التي تفرض تربيتها على الطفل دون استشارته، وكأنها هي الأم الحاضنة لطفل وهي من أنجبته ولها الحق الكامل في تربيته.

---

[1] جان جاك روسو،**إميل**، مصدر سابق ص25.
[2] المصدر نفسه ،ص26.

ربما بالغ روسو هنا في تسليم كامل الحق على طفل حديث الولادة للطبيعة الجرداء الفارغة، وجعله يتخبط فيها لوحده، دون تدخل الأم في هذه المرحلة فهي أيضا لها دور كبير، فمن الأم التي تستطيع التخلي عن ابنها لينشأ وسط الطبيعة والغاب بين الحيوانات، فهو ينشأ لنا طفل قليل المروءة .

هذا ما يمكن أن نمثله في قصص الأسطورية التي شاهدنها في رسوم المتحركة والتي نعرفها أغلبيتنا، كقصة الرسوم المتحركة ماوكلي الذي ربي وسط ذئاب فأصبحت حركته مثلهم يمشي على قوامه الأربعة، وهذا نتيجة لما علمته له الطبيعة وخاصة الحيوانية، وكذلك في قصة طرزان الذي ربي مع الغوريلا، حيث هو إتسم أيضا بصفات الغوريلا وذلك بالضرب على صدره والصياح مثلهم أليست وأيضا قصة حي بن يقضان، هذه القصص مثيل للتربية الطبيعية أحقا الطبيعة كفيلة على تربية طفل وحده وسط عالم لا توجد فيه الأم عند نشوء الطفل الحديث.

التربية الإنسانية:

هي كل ما يتدخل فيه الإنسان في تربية الطفل سواء كان، من أقوال وأفعال فتساعد في تربيته ونموه وهذا الضرب يمتاز بالتعدد أطراف العوامل المساعدة في تربية الطفل عكس التربية الطبيعة، فهي وحدها من تحتكر تربية الطفل وفي هذا يقول ***"أما تربية الناس فتلك دون سواها مطوعة لنا بحق، بيد أننا لسنا مسيطرين عليها إلا إفتراضا "*** [1].

يرى "روسو" أن في هذا القسم من التربية تتدخل عدة عوامل في التربية الطفل، فمعارفه لا تكون محصورة في مجال ضيق، بل تتوسع إلى الأقارب المحيطين به أو الشارع، أو المجتمع كل هذه تساعد في تربيته ويؤكد "روسو" أنه لا يمكن منع هذه العوامل من التدخل في المساعدة في تربية لأنها غلب عليها الطبع، ومن قال أنه يسيطر على التربية وحده فهذا مجرد إفتراض لأن تأثير العوامل الخارجية يكون أكبر.

[1] جان جاك روسو، **إميل**، المصدر السابق ،ص26.

تربية الأشياء:

تعد تربية الأشياء هي كل ما يكتسبه الطفل من خبرة وتجربة فكرية وعملية ينتفع بها، ولكنها هي كذلك أقل مما عليه التربية الطبيعية والتربية الإنسانية فهي ***"ما يمكن أن يكسبه أو يتركه المتعلم"*** [1].

يعني هذا أن تربية الأشياء هي كبارة عن تجارب يكتسبها ويتعلمها الطفل عن ريق الخبرة وذلك لتعرضه لتجارب الحياة والألام، حيث أن هذه التربية لا تأتي غلا بالقليل لطفل فهو من يريد أخد منها أو ترك ما لا يريد أخده فهي راجعة لأهوائه .

يعتبر روسو أن كل هذه التربيات كأنها ضرب من ثلاثة مربين أو معلمين للطفل، كل منهم أعطت الطفل بما يحتاج من تربية ،آلا وهي الطبيعة الخارجة عن إردتنا فهي المعلم المفروض علينا الأضاع تحت تعلمه لنا، وأما تربية الناس فهي مغلوبة عليها التطبع في جعل نفسها لها الحق الأول لتربية الطفل، أما تربية الأشياء وهي ما يمكن أن يكتسبه أو يتركه المتعلم، فهي تربية ليس لها قوة أكبر كالتي عند الطبيعة[2] .

هنا نلاحظ في تقسيم التربيات الثلاثة" لروسو" قد أعطى كل حدى تربية خاصة به يعني هذا أن "روسو" أعطى أهمية كبيرة لفئة الأطفال، وذلك من خلال تقديم الرعاية الحامية لطفل منذ المهد، هذا كله راجع لطبيعة الحياة الشخصية والبيئة التي نشأ فيها "روسو" من الحرمان وعدم تقديم له تربية أسرية بمعنى الذي نعرفه كما أنه تمنى أن تكون حياته لاقت أحسن مما وجد نفسه عليها، وكأنه يحاول رسم طريق العيش السليم لطفل الذي في حالة إن واجه صعوبات الحياة بمفرده تكفله هذه التربيات ربما هذا كان نابع من حالة نفسية ل"روسو" جعلته يؤسس نظام تربوي منظم يجعل من الطفل أن يلقى عيشة هنيئة صالحة، تخلوا من المصاعب والمشاكل الحياة القاهرة.

---

[1] جان جاك روسو، **إميل**، المصدر السابق، ص26.
[2] الصدر نفسه، الصفحة نفسها..

المبحث الثالث: علاقة الحرب بالتربية عند روسو

في هذا المبحث سنحاول إستخلاص العلاقة بين الحرب والتربية، فبعدما تطرقنا في ما سبق إلى أهم العوامل السياسية والإجتماعية الفاسدة، والتي عاشتها فرنسا على وجه الخصوص، من ظلم وإستبداد ،وما خلفه الحكم المطلق على المواطنين والتي إمتدت مساوئهومست الجانب الإجتماعي ،وورثته كراهية وإنقسامات بين أفراد المجتمع، كل هذه الإضطرابات جعلت الفرد يعيش حالة من القلق والصراع النفسي، فنسلخ من فطرته الطبيعية، وفقد طبيته، وأنسته المدينة كل ما كان يتمتع به في حالة الفطرة فأصبح الإنسان مسلوب الحرية مقيد من جميع المجلات في الحالة المدنية .

" فالإنسان المتمدن يولد ويعيش في رق العبودية، حيث يوثقونه بالقماط، وحين يموت يسمرون عليه ثابوتا، مادام على وجه الدنيا، فهو مكبل بشتى النظم " [1]

يعني أن الإنسان في المدينة، وكل ما حضي به من رقي وتطور في جميع المجالات إلا أنه أصبح مقيد بالضغوطات حتى أصبح مكبل من جميع النواحي هدفه الوحيد هو التملك والسيطرة وجمع الثروة وفي هذا يقول "روسو"، ***"إن المدن تلتهم ساكنيها وتفتك بهم، وبعد أجيال من حياة المدينة يشيع الإنحلال الصحي وتصاب السلالة بالهزل أو العقم، ولا يمكن تجديد حيويتها إلا عن طريق الريف "***[2].

هنا يؤكد "روسو" عن الضرر الذي أصاب الإنسان بعد تمدنه وما لحق به من ضعف، وعقم وإنحلال والسبيل الوحيد لشفائه، هو رجوعه إلى الحالة الطبيعية

كل هذا أدى ب "روسو" إلى محاولة إيجاد حل يحاول من خلاله أن يعيد للإنسان ما سلب منه ويعيد إليه طيبته المسلوبة، فكان مشروع روسو سياسي تربوي، حاول إصلاح السياسة عن طريق التربية، فألف كتابه " اميل " الذي حاولة من خلاله إعادة الحرية والمساواة للإنسان، والتخلص من الضرر والفساد الذي سببته المدينة وذلك من خلال إعطاء

[1] جان جاك روسو، **إميل**،ص24.
[2] المصدر نفسه،ص60.

طرق، ومراحل تربوية غرضها بناء رجل حر صالح، حيث يكون مواطن ومن ثم لصلاح المجتمع، وهنا يربط "روسو " بين التربية والسياسة أي تكوين مجتمعات، فإذا كانت التربية سليمة صلح حال الأفراد، وصلح بالضرورة المجتمع، كما أن فساد الفرد يعني بالضرورة فساد المجمع، وهذا يبين أن التربية والسياسة بينهما علاقة ترابطية أو علاقة فساد سياسي، أوإصلاح تربوي.

"إن الناس في الحالة الطبيعة سواسية ومهنتهم المشتركة، أن يكون رجالا، وأن لا يعني أن يكون مصير التلميذ الإنضمام إلى الجيش أو الكنيسة، أو الإشتغال بالقانون، فالطبيعة تنوبه قبل كل شئ للحياة الإنسانية، والحياة هي المهنة التي أريد أن ألقيه أياها، بل سيكون إنسان قبل كل شئ، بكل ما ينبغي أن يكونه الإنسان "[1].

يعني أن المهمة الرئيسية للطبيعة هي تكوين أشخاص صالحين مهيئين لخدمة أنفسهم ولخدمة المجتمع، كما يرفض"روسو" تربيت هؤلاء الأشخاص، أن تحدد ما يجب أن يكون عليه (قسيس أو ضابط)، هكذا سيتربون على أساس أنهم وسيلة لغايات وأهداف للمجتمع، وهذه تربية خاطئة، بل يجب أن نجعل منهم غاية في حد ذاتهم لكي يصبحوا أناس متكاملين في حد ذاتهم، فيصلح الفرد نفسه ويصلح المجتمع ويخلصه من شروره، والتصور الذي وضعه "روسو" للتربية هو تصور يمس كل الجوانب أي أنه شامل، فالرجل يربى من جميع النواحي الفيزيولوجية والنفسية، والعقلية .

كل هذا التجهيز ينصب في مصلحته هو، ومنفعة المجتمع، يعني إحلال المصلحة، لكن حسب "روسو" فإن التربية لا تتم وحدها بل ينقصها شئ ألا وهي الحرية .

فالحرية عند "روسو" هي ميزة وخاصية تمنح للإنسان دون غيره فمن سلبت منه حريته يفقد إنسانيته، ويصير كأنه حيوان تسيره أهوائه وغرائزه، أما الإنسان المتمتع بحريته فإنه يبقى على إنسانيته ويصير سلوكه سويا لأنه نابع من قراراته هو دون أي قيود

[1]جان جاك روسو،**إميل**،المصدر السابق، ص ص32،31.

لأن تستنزل وتخلي الإنسان عن حريته يعني أنه تخلن عن صفته كإنسان كما أنه تنستنزل عن حقوقه الإنسانية[1].

والحرية من أهم الحقوق الطبيعية التي نادى بها "روسو" في الحالة الطبيعية كما لها دور كبير في إصلاح التربية لذلك نادى بحرية الطفل منذ ولادته، وألا نقيده بأي شئ، يعرقل عليه تصرفاته، وكذلك الحال في التربية، فلا يجب أن تكون مهمة المربي مجرد ملقن وحشو الرؤوس بالمعلومات التي لا يستوعبها الطفل بل يجب أن ندعى له حرية الإكتشاف والتعلم بهذه الحرية ستجده هو مقبل على التعلم.

والحقيقة أن "إيميل"و"العقد الإجتماعي" مترابطان بأوثق العري :***"فهما يدرسان مظهرين إثنين لمسألة واحدة، فإيميل تلميذ "روسو" يتعين عليه أن يعيش في المجتمع، ولكن لا بد من الإهتداء إلى نظام التربية يتيح له أنه يحتفظ بكل براءة الحالة الطبيعية وفظائلها، وبكل طيبة الإنسان الفطرية "[2].***

نستنتج من خلال هذا النص أن مشروع "روسو" كان سياسي تربوي، فلكي يخرج الإنسان مما أصابه في حالة التمدن، ويعود إلى حالته الطبيعية وفطرته المسلوبة لبدى من التربية وبتحديد التربية الطبيعية التي نادى بها "روسو" في المراحل الخمس التي وضعها في تكوين الطفل من مرحلة الولادة إلى مرحلة النضج ليس مراحل تربوية إعتباطية، بل هيا متماشية مع مشروعه السياسي، وكل هذا التكوين التربوي الطبيعي، ينتج لنا فردا قادرا على مواجهة صعاب التمدن والمحافضة على ما إكتسبه في حالة الطبيعة .

لكن الإنسان لن يستطيع العيش دائما في حالة الطبيعة، فيجب عليه مواكبة التطور وكان الإجتماع ضرورة لا مفر منها.

[1]جان جاك روسو،**العقدالاجتماعي**،تر:عادل زعيتر(دط، القاهرة، الهنداوي،2013)،ص34.
[2]إميل برهييه،**تاريخ الفلسفة**،تر:جورج طرابيشي،(ط1؛دار الطليعة،1983)،ص200.

"فإن الحالة البدائية لن تدوم، إن بقي الإنسان على هذه الحال فكان لبدى لحفظ بقائه أن يغير طراز حياته " [1].

يعني أنه لا بد من الإنسان من التعاقد لكي يحفظ بقائه، لكن كيف ينتقل من الحالة الطبيعية إلا الحالة المدنية، مع المحافظة على حريته وطبيته، ويضمن حفظ أهم ميزتين له.

يقولو "روسو" لكي يتم الإنتقال ويتم معه حفظ مكان يعيش الإنسان في حالة الطبيعة فلا بد أن يكون شكل هذه الشراكة كالتالي ***" إيجاد شكل لشراكة تجير وتحمي بجميع القوة المشتركة شخص كل مشترك وأمواله، وإطاعة كل واحد نفسه فقط، وبقائه حرا كما في الماضي مع إتحاده بالمجموع"*** [2]

يعني أن إتحاد الفرد بالمجموع، لا يعني تخليه عن حريته بل مهمة الشراكة أو العقد هو المحافظة عليها، والمحافظة على الفرد وحمايتة ضمن الإرادة العامة التي تفرض المساواة والحرية في بينهم.

فالإنسان عند إنتقاله من حالة الفطرية إلى الحالة المدينة ترتب عليه كثيرا من التغيرات في السلوكه، وذلك بتبديل قوانين المدينة على حساب قوانين الطبيعة، إذ أحلى العقل محل الغريزة [3].

يعني أن إنتقاله ليس بذلك السوء ولن يقوض عليه كل شئ بل سيذهب سلوكه من كائن يعيش لنفسه إلي شخص يعيش لأجل الجماعة لأجل الصالح العام من إنسان كانت تسيره غرائزه وأهوائه إلى إنسان يحكمه عقله، هذا كله تحت ظل القانون والدولة أما عن حريته الطبيعة فتصبح الحرية المدنية خاضعة للإرادة العامة فالإنسان لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الجماعة فهو حيوان إجتماعي بطبعة وبمثاقه الإجتماعي أمر مفروغ منه، فصحيح أنه يسلب منه أشياء إلا أن يمنحه أشياء أخرى تكون مناسبة لوضعه الجديد، فكما

[1] جان جاك روسو، **العقد الإجتماعي**،المصدر السابق ص43
[2] المصدر نفسه،ص44.
[3] المصدر نفسه،50.

أن للحالة الطبيعية إيجابيات فلا يمكن خلوها من السلبيات وكذلك الحال للتمدن، فهو يحمل في طياته ما هو سلبي وما هو إيجابي، فلا يوجد شئ كامل فكل مكان له سلبيات وإيجابيات.

وهذا هو الحال للإنسان فليس المهم في أي حالة سيعيش، بل المهم أن يكون على قد ما هو عليه من إنسانية وطبية الحسنة.

خاتمة

خاتمة

من خلال هذا العمل حول إشكالية العلاقة بين الحرب والتربية عند "روسو"، توصلنا إلى النتائج التالية:

– إن للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في عصر "روسو"، الأثر البالغ في تكوين شخصيته الفكرية والسياسية

–اعتمد "روسو" في مشروعه السياسي على دحض الأفكار السياسية القائمة على أن الإنسان شرير بالطبع

– أن الحالة الطبيعية التي افترضها "روسو" والتي كان يعيشها الإنسان قبل حالة التمدن في حالة الفطرة كان الإنسان طيب وخير بطبعه، وكان يعيش في حضن الطبيعة الأم دون أي قيود حرا طليقا في تلك.

– أما في التربية فـ"روسو" يؤمن بالتربية الطبيعية القائمة على الحرية دون أي قيود و صعوبات على المتعلم

– أن مقولتي الحرب والسلم أساسيتان في نسق "روسو" السياسي

_ إعادة الاعتبار للتربية وما لها من أهمية في تقويم سلوك الأفراد وفق الفطرة الأولى فحسب روسو لا يمكن الفصل بين الحرب والتربية لأنهما متلازمان تلازمًا مطلقًا.

_ للوصول إلى مجتمع فاضل لا يمكن إلا من خلال إعادة تربية نشأ فرد جديد قوامه التربية الطبيعية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1 جان جاك روسو أحلام اليقضة، ترجمة ثريا توفيق، مراجعة صالح جودت، ط2 ؛ القاهرة : المركز القومي للترجمة، 2009.

2 ـــــــــــــ، أصل التفاوت بين الناس، ترجمة عادل زعيتر، ط1، القاهرة، دار العالم العربي، 2011.

3 ـــــــــــــ ،أصل التفوت بين الناس، ترجمة عادل زعيتر، ط2، مصر، الهنداوي للتعليم والثقافة، 2012.

4 ـــــــــــــ العقد الإجتماعي، ترجمة عادل زعيتر، ط2؛ مصر الهنداوي لتعليم والثقافة،2013

5 ـــــــــــــ، العقد الإجتماعي أو مبادئ حقوق الإنسان، تر:عبد العزيز لبيب ط1؛ بيروت، 2011.

6 ـــــــــــــ، دين الفطرة، أو عقيدة القس من جبل السافوا، نقلا للعربية، عبد الله عروي، ط1؛ المغرب: المركز الثقافي العربي، 2012.

7 ـــــــــــــ، محاولة في أصل اللغات،تعريب :محمد محجوب،تقديم: عبد السلام مسدي، ط1؛ بغداد، أفاق العربية.

8 ـــــــــــــ ،إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ترجمة نظمي لوقا، تقديم أحمد زكي محمد، ط1 ؛ القاهرة ،الشركة العربية للطباعة والنشر.

قائمة المراجع:

9 إميل برهييه، تاريخ الفلسفة، ترجمة: جورج طرابيشي، ط1، دارالطليعة، 1983.

10تسبق أسماء المؤلفين (كل معلومات الكتاب) تاريخ كل من الكنائس، تاريخ الكنيسة الشرقية الكاثوليكية، مراجعة: الأب صبحي حموي اليسوعي، إشراف : يوسف ضرغام، ط1،بيروت،لبنان،دار المشرق ،مجلد الثاني،1997.

11توماس هوبز ،اللفياثان، الأصول الطبيعية و السياسية لسلطة الدولة،ترجمة: ديانا حرب وبشرى صعب، مراجعة: رضوان السيد،ط1،أبو ظبي،هيئة أبو ظبي للثقافة و التراث، 2011

قائمة المصادر والمراجع

12جورج سباين تطور الفكر السياسي، ترجمة : علي إبراهيم السيد، مراجعة : راشد البراوي ،ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

13حسن أفندي قاسم خوجة، تاريخ ملوك فرنسا من مبدأ ملكهم إلى الملك لويس فيليب، دط، القاهرة، دار الطباعة الباهرة، 1848.

14ستيفن ديلو، المجتمع المدني بين التفكير السياسي والنظرية السياسية، ترجمة :ربيع وهبة، دط، القاهرة، دون دار نشر، دون سنة النشر.

15صلاح الدين علي نيوف، مدخل إلى الفكر السياسي الغربي، دط، الأكاديمية العربية في دنيمارك كلية القانون والعلوم السياسية، ج 1 .

16عبد الله عبد الرزاق، شوقي عطاء الله الجمل، تاريخ أوروبا من النهضة إلى الحرب الباردة،ط1،القاهرة،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،2000.

17فرانسوا فوريه وديني ريشيه، الثورة الفرنسية، تر: زياد العودة، طبعة الأولى، دمشق، سلسلة الدراسات، 2012.

18ليوشراوس جوزيف كروسي، تاريخ الفلسفة السياسية من لوك إلى هيدغر، ترجمة: محمود السيد أحمد، مراجعة:إمام عبد الفتاح إمام،ط1،القاهرة،المجلس الأعلى للثقافة،2005،الجزء الثاني.

19محمد وقيع الله أحمد،مدخل إلى الفلسفة السياسية ،ط1،دمشق،دار الفكر،2010.

20ويل ديورنت، قصة الحضارة (عصر لويس الرابع عشر)،تاريخ الحضارة الأوروبية، ترجمة : فؤاد أندرواس، مراجعة، علي أدهم ،ط1، بيروت، دار الجيل، ج 1، المجلد الثامن.

قائمة المعاجم والموسوعات:

21 أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات، ط2، بيروت، منشورات عويدات ،2001.

22 جميل صليبة، المعجم الفلسفي، دط، بيروت، لبنان، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة ج1، 1982.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المجلات والمقالات:

23محمد صباح كريم الفلتاوي، نظرية الحق الإلهي والعقد الاجتماعي، دراسة مقارنة، العدد العاشر، مركز دراسات كوفة، جامعة كوفة، 2008.

24ميثاق بيات الضيف ن الأوضاع الإجتماعية في عصر لويس الرابع عشر، ملك الرحيل،1688_1701،عدد352.

ملخص الدراسة:

باللسان العربي:

نهدف من خلال هذا العمل، إلى محاولة تسليط الضوء على فكر روسو السياسي، وخاصة ما تعلق منه بالجانب الحربي والتربوي، وذلك من خلال البحث في أصل نشأة المجتمعات السياسية، ونبذه للأفكار الميتافيزية التي كانت سائدة في العصور الوسطى، ومحاولة بناء فكر سياسي جديد يقوم على مقتضيات العقل والمنطق. فالأصل في الإنسان أنه خير ولكن في الحالة الاجتماعية أفسدت القوانين والملكية تلك الطيبة التي كان يتمتع بها الإنسان في الوضع الطبيعي، ولهذا؛ فلا مناص للإنسان في الحالة الاجتماعية إلا الاعتماد على التربية قصد تجاوز الحرب التي كونتها مآسي الحالة الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: حرب، تربية، عقد اجتماعي، حق، قانون، ملكية، دولة.

Résumé de l'étude:

En français

À travers ce travail, nous visons à éclairer la pensée politique de Rousseau, en particulier ses aspects guerre et éducatif, en examinant les origines des sociétés politiques, en rejetant les idées métaphysiques du Moyen Âge et en essayant de construire une nouvelle pensée politique basée sur: Les exigences de la raison et de la logique. L'origine humaine est bonne, mais dans la situation sociale, les lois et la propriété ont gâché la nature humaine dont jouit l'homme dans la situation naturelle, de sorte qu'il est indispensable que l'homme dans la situation sociale ne puisse compter que sur l'éducation pour surmonter la guerre, tragédie de la situation sociale.

Mots-clés: guerre, éducation, contrat social, droit, loi, propriété, état.